الفيصل

الكاميرا.. اختراع أربك الفنون الجميلة

ميادين صنعت تاريخاً

مياه النيل.. السياق التاريخي والقانوني

د. ياسين أقطاي: التاريخ وسيلتنا لقراءة الثورات العربية

الفيصل - السنة ٣٦ - الربيعان ١٤٣٣هـ/ فبراير - مارس ٢٠١٢م

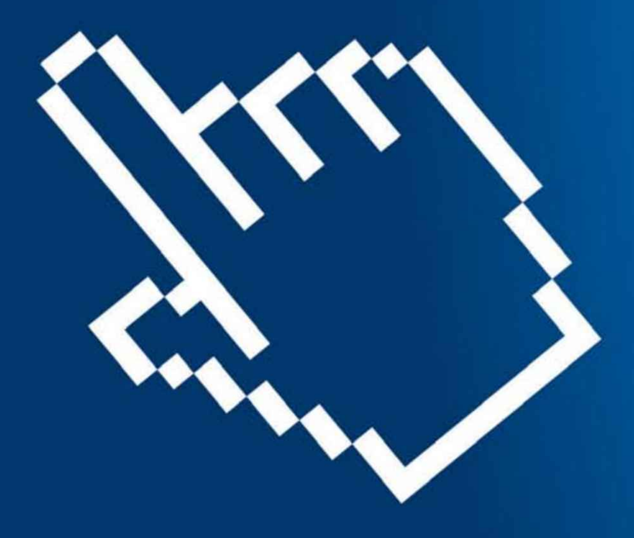
مجلة ثقافية شهرية - الربيعان ١٤٣٣هـ/ فبراير - مارس ٢٠١٢م

٤٢٩
٤٣٠

٤٢٩/٤٣٠

طبيعة القراءة الابتكارية وعملياتها





العددان ٤٢٩-٤٣٠ / الربيعان ١٤٣٣هـ

المحتويات

إدارة التحرير

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير

حسين حسن حسين
محسن بن حمد الخرابة
حوى النبي علي صالح
سيد علي الجعفري

الإخراج الفني

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية
١٤/٢٤٥٠
ردمد ١٤١١-٨٥٢٠

الناشر

دار الفيصل الثقافية

www.alfisal-mag.com
contact@alfaisal-mag.com
alfaisalmagazine@yahoo.com



تمكّننا القراءة الابتكارية من إدراك العلاقات بين الظواهر والأفكار بشكل جديد وأفضل؛ مما ينتج منه مركب من فكر وفعل جديدين؛ مثل: القدرة على التجديد لما هو معروف ومتّفق عليه، وإيجاد علاقات جديدة لأشياء معروفة.

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات ».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
- يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- تشكيل الشعر ما أمكن، خصوصًا القديم منه.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتَّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات. الكويت ٨٠٠ فلس. الإمارات ١٠ دراهم. قطر ١٠ ريالات. البحرين دينار واحد. عُمان ريال واحد. الأردن ٧٥٠ فلساً. اليمن ١٠٠ ريال. مصر ٤ جنيهات. السودان ١,٥ جنيه. المغرب ١٠ دراهم. تونس ٢٥٠, ١دينار. الجزائر ٨٠ دينارًا. العراق ٨٠٠ فلس. سورية ٤٥ ليرة. ليبيا ٨٠٠ درهم. موريتانيا ١٠٠ أوقية. الصومال ٢٠٠٠ شلن. جيبوتي ١٥٠ فرنكاً. لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية. الباكستان ٢٠ روبية. المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية. الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع. هاتف ٤٨٧١٤١٤(٠١). فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر. مؤسسة توزيع الأهرام. شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥. فاكس ٣٣٩١٠٩٦. ٢٠٢...، سورية. المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨٤٢٨٢١٢. فاكس ٢١٢٢٥٣٢. ١١. ٠٠٩٦٣، تونس. الشركة التونسية للصحافة. ٣ نهج المغرب. ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٤٠٠٣٢٣/ هاتف ٩٣٢٢٤٩. ٧١. ٠٠٢١٦، قطر. دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع. ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢. فاكس ٤٦٦١٨٦٥. ٠٠٩٧٤، الأردن. شركة وكالة التوزيع الأردنية. ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١. فاكس ٤٦٣٥١٥٢. ٦. ٠٠٩٦٢، البحرين. مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠. فاكس ٥٣١٢٨١. ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة. مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٣٥٦٦٢. فاكس ٢٦٦٩٨٢٧. ٤. ٠٠٩٧١، الكويت. شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢. فاكس ٢٤١٧٨٠٩. ٠٠٩٦٥، المغرب. الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢. ٢٢٤. ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية. القائد للنشر والتوزيع هاتف: ٢٠١٩٠١/٢. ٣. ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧

alfaisalmagazine@yahoo.com

رســـائلكم



روعة المستوى

لقد طالعتُ مجموعة من أعداد مجلتكم الغراء، التي وصلت إلينا مؤخراً، وسررنا كثيراً بالمستوى الرائع والإنجاز العظيم، بما عليها المجلة من تنوّع في الموضوعات، وغنى في المادة المقدمة؛ مما يجعلنا نشيد بها، داعين الله لكم بمزيد من التقدم والازدهار في خدمة الثقافتين العربية والإسلامية، وإغناء الحضارة الإسلامية.

عبدالناصر محمد أمين

جمعية الترقي لتعليم اللغة العربية - كينيا

التحرير

نشكر لك إطراءك، ونأمل أن نكون عند حسن ظنّ جميع الإخوة القراء، وندعو الله لكم بالتوفيق في خدمة اللغة العربية، ونرحّب بإسهاماتكم في إثراء المجلة، وتجدون العنوان الإلكتروني للمجلة ضمن البيانات الخاصة بها.



المشاركة في المسابقة إلكترونياً

عندي استفسار بشأن الاشتراك في المسابقة الشهرية للمجلة في الموقع الخاصّ بها، وهو هل يجب الاشتراك في المجلة قبل الاشتراك في المسابقة أو لا؟. وثانياً، إنني حاولت الاشتراك في المسابقة، وقد سجّلت في الموقع مسبقاً، وعند إدخال البيانات الشخصية تصادفني في حقلي (المدينة والعنوان) مشكلة لا يمكن التخلص منها أبداً، وقد حاولتُ مراراً وتكراراً، لكن من دون فائدة، وهي (فضلاً اكتب اسم المدينة، فضلاً اكتب عنواناً صحيحاً)، مع أنني أكتبهما.. وشكراً لكم.

نجاة عبده ناصر عبدالله

اليمن - صنعاء

التحرير

تمّ حلّ هذه المشكلة، علماً أن الاشتراك في المجلة مهم؛ حتى يتسنى الاشتراك في المسابقة، ونشكر لك اهتمامك الكريم، ونرحّب بمشاركاتك.



الطيور الزائفة

سعادة رئيس التحرير:

أدام الله أفراحك وسرورك، وبعد:

مما لا شكّ فيه حرصكم الدائم على نشر الثقافة، وتنمية الوعي الاجتماعي، ولكم اليد الطولى في ذلك، وقد أحببتُ أن أعرض عليكم هذه المشاركة؛ عسى أن تنال رضاكم.

بعدما طُردوا من (المدينة الفاضلة) انتشروا كالجراد ليملؤوا الكرة الأرضية صراخاً وعويلاً. إنهم الشعراء، حاملو المشاعل المضيئة، وأمراء الكلمات التي تلد العاصفة. وقد كانت القبائل العربية قديماً تحتفل بنبوغ الشاعر؛ إيماناً منهم بأهمية الكلمة وقيمتها عندهم. فالشاعر لديهم هو اللسان الذي يتحدثون به، والدرع التي تردّ الهجمات. والشعر في حياة العربي مرآة صافية تعكس ما حولها من مفارقات هذه الحياة، إنه كاميرا عالية الجودة لتصوير حياة الصحراء حيث الخيام المنصوبة، وجلسات السمر، وليل الصحراء الهادئ، وأصوات الرعاة القادمين خلف قطعان الماشية. لهذا أو ذاك اهتمت العرب بالشعر، لدرجة أنهم علّقوه على أستار الكعبة، وضربوا أكباد الإبل إلى (المربد)؛ طلباً لسماع الشعر. وعلى الرغم من انطواء صفحات الأيام، وتطوّر العصر، وتساقط بعض الأشجار الشعرية السامقة، ما زال بستان الشعر العربي يزدان ببعض النماذج العطرة التي تمحو عن سمائنا الخوف، وتشقّ جداول الأمل، وتشكّل قوالب الجمال الحية. ولو سُئلت عن الشاعر الحق لقلتُ: إنه نسر يغتسل تحت أمطار الكلمات الملونة، ويطير بأجنحة الخيال المشتعلة، ولا يعيش إلا في القمم التي تموت دونها ملايين الطيور الزائفة.

محمد مداوي العنزي

جازان - السعودية

التحرير

نشكر لك مشاركتك، ونأمل مداومتك على المشاركة بمقالات متعمقة، واستطلاعات مصورة، وغيرها، والمجال مفتوح لجميع الإخوة القراء الراغبين في إغناء المجلة بمشاركاتهم.

من كتاب (المناظر) لابن الهيثم إلى الكاميرا البدائية للإيرلندي روبرت بويل في عام ١٦٦٠م مسيرة طويلة، امتدت بعد ذلك حتى كانت أولى الصور الفوتوغرافية للفرنسي جوزيف نيبس. وتستمر المسيرة بعد أن تلوّنت الصورة، وأصبح الفنان يبدع في استخدام هذه الآلة العجيبة، التي أصبح يزاحم بها كل صنوف الفنون التشكيلية.





محمود أحمد شاهين

دمشق – سورية

اختراع أربك الفنون الجميلة

اختراع الكاميرا، وولادة التصوير الضوئي، وتطور وسائط إنجازه وتعميمه، حولت الكرة الأرضية إلى قرية كونية صغيرة



يوماً بعد يوم، وبهمّة المصورين الضوئيين المبدعين والمغامرين الباحثين عن الجديد المتميز والمعبّر، الموهوبين المسكونين بهاجس الكشف، وتصيّد المشهد الجميل من الحياة اليومية: في الشارع، والحيّ، والسوق، والمرافئ، والطبيعة، والبيت، ووسائل السفر، ومكان العمل، وغيرها، تم تجميد هذا المشهد اللافت والمعبّر والمستوفي عناصر العمل الفني ومقوماته كافةً في لقطة ضوئية أقلّ ما يُقال عنها: إنها (لوحة ضوئية) يمكن مدرستها بسهولة، فنقول: لوحة ضوئية تسجيلية، أو انطباعية، أو سوريالية، أو تكعيبية، أو تعبيرية، أو غيرها. فالفن -كما يبدو- لم يعُدْ وقفاً على العمل الفني البصري التقليدي؛ كالرسمة، واللوحة، والمنحوتة، والمحفورة المطبوعة، والملصق، والنصب التذكاري، والزخرفة، والتحفة الفنية، بل تعداه إلى مظاهر جديدة؛ إذ أصبح موجوداً في كلّ شيء: نراه يطلّ من هذه الصورة أو تلك، أو من هذه العناصر، أو تلك التشكيلات التي

توجت وسائط الإعلام المشاهدة الصورة الضوئية سلطةً مطلقةً قوية الإبهار والتأثير والفعل تتلذّذ باستقطاب المتلقّي وتعيد تشكيله

جاءت بمحض المصادفة إلى أرض الواقع، أو تلك التي قام الفنان نفسه بترتيبها في محترفه؛ توطئةً لتجميدها في لقطة معبّرة.

على هذا الأساس، تتأكّد المقولة التي تشير إلى حقيقة وجود الفن في كل شيء: في ذلك اللسان من الأسمنت والفولاذ الممدود إلى السماء، الذي ندعوه (ناطحات السحاب)، في نار المدفأة، وقميص الزنبقة الأبيض. موجود فينا وحولنا؛ لأنه منّا؛ من قلوبنا ينبع، وفي زوايا أركان حياتنا اليومية يقبع منتظراً من يكتشفه، حتى في العادي جداً من الأشياء. المهم هو وجود العين الموهوبة، النفّاذة، الصيّادة، القادرة على اكتشاف المكامن التي يختبئ فيها الفن، واستنهاضه، وتحويله إلى شيء ملموس بهذه اللغة التعبيرية أو تلك!!. لكن الفن -أيّ فن- يستند إلى دعامات، أهمها: الإدراك، والاختيار، والتجربة التي على الفن أن يخلّدها في صورة من صوره؛ إذ يبقى الفن مادةً بلا شكل، وحركةً من دون اتجاه، ما لم يحوّلها عقل الفنان وإدراكه وفهمه إلى نظام مُستظرف جميل ومرغوب يُدعى (الفن).

أسرة الفنون الجميلة

قبل اختراع الكاميرا عام ١٨٣٩م، وولادة فنّ التصوير الضوئي، وتطور وسائط إنجازه وتعميمه بالطريقة المذهلة التي حوّلت الأرض إلى قرية كونية صغيرة، أدى الفن التشكيلي بضروبه وأنواعه المختلفة أدواراً كثيرة ومهمة، إلى جانب دوره الأساسي في رصد جماليات الإنسان والحياة اليومية وتجسيدها، منها: التوثيق والتأريخ لجوانب الحياة كافةً: الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والحضارية، والعسكرية، وأسهم بعدة أشكال في تحريض الإنسان على ممارسة أفعال مختلفة الأهداف والغايات. والحقيقة أن القسم الأكبر من تاريخ البشرية القديم والحديث وصل إلينا عبر الرسم والتصوير المتعدد التقانات، والنحت، والخزف، إضافةً إلى الشعر الذي يعدّ واحداً من أسرة الفنون الجميلة التي تنتمي إليها الفنون التشكيلية.

مسيرة راسخة

على الرغم من حالة الإقصاء والمحاصرة والتقليل من شأن الصورة الضوئية الفنية تابعت نضالها للانضمام إلى أسرة الفنون الجميلة، لكن مسألة الانضمام هذه لم تُحسم بعدُ؛ بسبب وجود عدد لا بأس به من مزاولي الفنون الإبداعية التقليدية، الذين ما زالوا يرفضون إلحاقها بجمهوريتهم؛ بحجة أنها آلية وخالية من الإبـداع، مُشيحين نظرهم عن الإنجازات الهائلة التي حققتها في الحياة المعاصرة، ولاسيما دورها المحوري والمهم في وسائل الاتصال البصرية الحديثة، التي حوّلت العالم إلى قرية كونية صغيرة على الرغم من ترامي أطرافه، واتساع المسافات بين أقاليمه وقاراته. وثورة الاتصالات البصرية هذه أساسها وقوامها الصورة الضوئية، وقرينة وجودها (الكاميرا)، التي يرى بعض الباحثين أن مولودها (التصوير الضوئي) اكتسب وضعاً نهائياً يضعه في حقل الفنون الجميلة، لكن ثمة فروقات كثيرة بين (الصورة الضوئية الفنية) والإنتاج المتسارع للصور الإعلامية اليومية التي تبثّها أكثر من وسيلة إعلام؛ إذ إن الأولى تتميّز بكونها تحمل بعض سمات العمل الإبداعي الحديث، والثانية تذهب إلى مقاربات سياسية واجتماعية تُدخلها إلى عالم التوثيق. بمعنى أن التصوير الضوئي المعاصر أصبح أحد الفضاءات المفضّلة التي يمكن تحقيق قيم جمالية حقيقية فيها، وهذا ما يسعى إليه اليوم عدد كبير من الفنانين الضوئيين باجتهاد لافت لابد أن يتوّج بنتائج تعزّز من مسيرة هذا الفن الذي أصبح يُحيط بنا من كل جانب، بل أصبحت له مدارس ومعاهد وأكاديميات تُعنى بتدريس تقاناته وأساليبه، وتعمل على مدرسة إنجازاته الفنية المتميزة أسـوةً بالرسمة، أو اللوحة، أو المنحوتة، أو المحفورة المطبوعة، أو النوتة الموسيقية، أو القصيدة؛ لأن الصورة الضوئية الفنية لم تكتفِ بدخول متاحف عرض الفنون التشكيلية وصالاته، وفرض وجودها في مجالاتها التخصصية، وأبحاثها النظرية، وإنما أخذت مدارسها واتجاهاتها واشتغلت عليها، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتوافرة وتَـردُ بشكل يومي إلى صالات العرض، والمجلات، والكتب، والتلفاز، والإنترنت، ووسائل الإعلام والإعلان المختلفة، حتى إلى المتاحف. وبعض

مع مزاحمة الصورة الضوئية الفنون التشكيلية على مهامها ووظائفها القديمة وضعتها أمام جدار مسدود، وجعلتها تنكفئ لتحصر إنجازاتها في مرحلتها المعاصرة في لغتها البصرية، والعمل عليها من دون التركيز أو الاهتمام بما تقدّمه هذه اللغة من مضامين وأفكار، وهذا الأمر قاد إلى الاتجاهات التجريدية والشكلانية التي أسقطت من اهتمامها تقديم فكرة، أو حكاية، أو مضمون محدّد، وإنما تركت للمتلقّي أن يقرأ في نصّها البصري ما يريد، وبالشكل الذي يريد.



مع هذا التحوّل الكبير في وسائل الاتصالات البصرية تصدت الكاميرا بأشكالها وأجناسها المختلفة لمهمة رصد الحدث السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والطبيعي، وملاحقته، وتوثيقه، وتقديمه إلى الناس بسرعة مذهلة، ومن موقع الحدث مباشرةً، بعد أن تحمِّله الأبعاد والغايات والأهداف التي يريدها أصحاب وسائل الاتصال من خلال المسوّغات ووجهات النظر التي يحلّلون بها الحدث؛ لأن خواصّ هذه الوسائل، وقدرتها على تمثّل الحدث ونقله إلى مفردات بصرية مكثفة وواضحة ومؤثّرة في بصر المتلقّي وبصيرته، جعلت منها الفن الأقدر على التأثير والفعل والغواية والتدجين لكل شرائح هذا المتلقي، خصوصاً بعد التطور المذهل الذي لحق بتقانات الصورة الضوئية التي صارت تنقل الحدث إليه أينما وُجد.

من المؤكد أن وسائط الإعلام المعاصرة استفادت من الفنون الإبداعية التقليدية، ولاسيما الفنون التشكيلية والموسيقا، وتوّجت بقوة سلطة الصورة الثابتة والمتحركة، وهذه الأخيرة أصبحت أكثر إبهاراً وتأثيراً وفعلاً، بل تحوّلت إلى نوع من الغواية التي تتلذّذ باستقطاب المتلقي، وسكب ما تريد في قلبه وعقله، بل إعادة تشكيله أيضاً!!.

هذه الصور يُنفّذ مباشرةً على أرض الواقع لحظة تجلّي الحالة بشكلها الطبيعي، وعناصرها الواقعية، وبعضها يُركّب في (الاستوديو) أو المحترف، ثم يقوم الفنان الضوئي بتجميدها في لقطة أو لقطات، وبعضها الثالث يُنجز بتقنية (الفوتومونتاج)؛ أي: إدخال صورة على أخرى. وبعد دراسة مستفيضة لناتج هذا التوليف والتأليف البصري شكلاً ومضموناً، وتكويناً ودلالةً، وعناصر وإيحاءً، مازال الأفق -كما يبدو- رحباً ومفتوحاً على المزيد من الكشوفات المتتالية المدهشة أمام الصورة الضوئية.

آراء ومواقف*

اختلفت الآراء، وتعدّدت المواقف، تجاه الصورة الضوئية؛ فهي لدى بارتيه تختلف عن الرسم؛ لأنها عمل تسجيلي خالٍ من أيّ إشارة، وهي خادم مخلص للطبيعة؛ لأنها تسجّل المشهد بشكل ميكانيكي، بينما الرسم هو إشارة ورمز غير طبيعي يُلمح إلى وجود الأشياء، والرسام يستطيع التدخل في تركيب المشهد، فيحمّله معاني إضافيةً. ويرى أحد الفنانين التشكيليين أن التصوير الضوئي اليوم أصبح قادراً على إعطاء صورة صادقة عن الواقع، وإلا فإن مبدأ الصورة الشخصية بالتعريف بالأشخاص وإعلانات الصور الانتخابية وصور ممثلات السينما غير صحيح. لهذا يمكن القول: إن الصورة هي إشارة طبيعية، وليست إشارةً تعسفيةً خالصةً؛ لأنها تستخرج معناها من الشيء المشخص.

لقد حاولت الصورة الضوئية الحصول على صورة طبق الأصل، وتطور تكنولوجيا فنّ الحفر والطباعة على مدى ١٧٠ عاماً إنما سعى إلى الحصول على رصد الواقع بدقة، وإعادة تشخيصه من دون تحريف. إذاً، فنّ الكليشة والتصوير الضوئي يقومان على تكرار إشارات الصورة نفسها.

أما غوتيه، فيرى أنه في هذا الوقت، الذي يُعجب فيه التصوير الضوئي العامة؛ لدقته الآلية في النسخ، يجيب الإعلان في الفن عن اتجاه حرّ وجامح. لقد أصبح من الضروري التحرك ضد الآلة العمياء؛ لهذا قام مجموعة من الحفارين بالماء الثقيل

بجميع مواهبهم، بعد أن أزعجتهم رؤية الجدران مغطاةً بصور ضوئية عادية خالية من أيّ روح، بتأسيس جمعية الحفر بالماء الثقيل من أجل محاربة التصوير الضوئي والحفر المنتظم والآلي الخالي من الإلهام، الذي يشوّه فكرة الفنان.

ويأسف بودلر لانحدار الذوق العام عند الناس الذين أحبوا كثيراً التصوير الضوئي، هذه الطريقة التي تبهر أعين الجمهور الذي لا يفهم الشيء الكثير عن الفن، هذا الجمهور الذي يحب الآلة التي تعطي صورة طبق الأصل عن الواقع. لقد استعاض الجمهور عن اللوحات الأصلية بصورة طبق الأصل عنها، وأصبحت الصورة الضوئية المتحف الجديد للناس، وملجأً للفنانين المخفقين الكسالى الذين لا يملكون أيّ موهبة، والذين يتكاسلون عن إتمام عملهم. ويؤكد بودلر أن على التصوير الضوئي أن يقوم بوظيفته الحقيقية، وهي خدمة العلوم والفنون؛ أي أن يخدم الطباعة والنسخ اللذين لا يتطلبان أيّ إبداع، بل عليهما مرافقة النصوص الأدبية.

ويذهب شاميغلوري إلى القول: إن مكنة التصوير الضوئي من دون روح، وإن عمل المصوّر الضوئي هو عمل ميكانيكي بحت. وهذا ما دفعه إلى التحذير من خلط الصناعة مع الفن. ويؤكد ضرورة أن تبقى الصناعة في مكانها، وألا تُقبل في معهد أبولو المخصّص فقط لخدمة الفن الإغريقي والروماني.

ولأن التصوير الضوئي يتلخّص في مجموعة عمليات تتطلب من دون شكّ بعض المهارة اليدوية، لكن الصور الناتجة منها لا يمكن عدّها بأيّ شكل من الأشكال عملاً فنياً؛ لأن الفن هو من ثمار الفكر والدراسات الفنية.

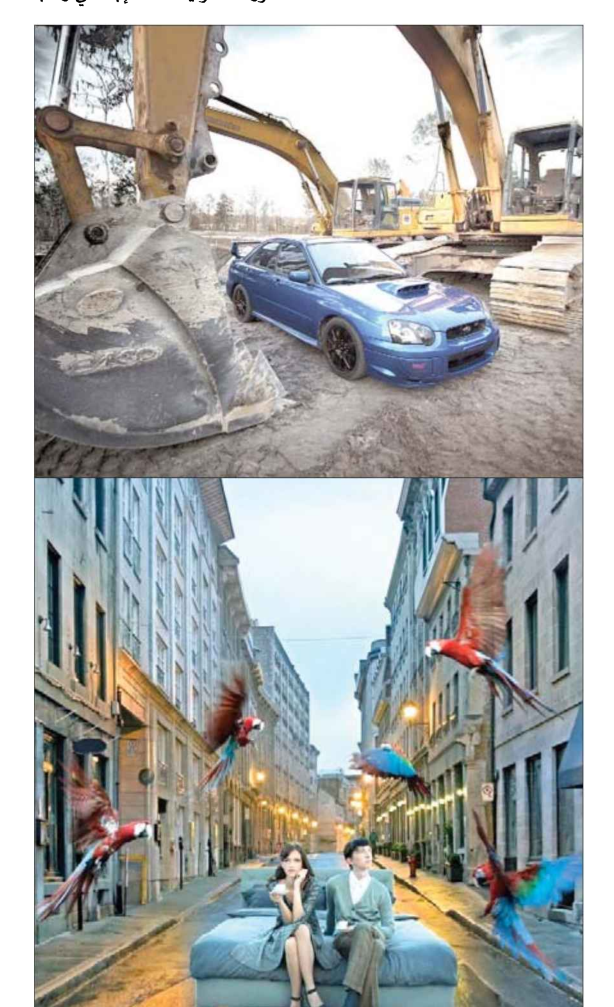
في الجهة الأخرى

في المقابل، رفض دولاكروا وزيغل مثل هذه الآراء السلبية في التصوير الضوئي الذي يمكن بفضله اكتشاف أسرار الطبيعة. في البداية، رفض دولاكروا عدّه فناً؛ لأنه لا يعكس فكر الإنسان، وكان ضد التكنولوجيا الصناعية، والتصوير الضوئي بوصفه تقنيةً ميكانيكيةً ليس فيها روح، وغير قادرة على نقل الإحساس والعاطفة الإنسانية، لكنه عدل عن رأيه هذا فيما بعد؛ إذ ذكر أنه رسم لوحته الشهيرة (المرأة الجزائرية) نقلاً عن صورة ضوئية عام ١٨٥٠م، وأشار في إحدى مقالاته إلى أن التصوير الضوئي أكثر من نسخ، بل هو مرآة الشيء. إن التفاصيل التي لا نجدها في الرسم العادي، وكانت مهملةً، تظهر بفضل مكنة التصوير، وبفضلها يصل الفنان إلى المعرفة الكاملة ببناء الشيء. إن الظلّ والنور يحتفظان بالصورة الضوئية بكامل حقيقتهما؛ أي: بدرجة قساوتهما أو عذوبتهما. كما يجب ألا ننسى أن التصوير الضوئي يعدّ مترجماً يساعدنا على الغوص بعمق في أسرار الطبيعة.

لغة إبداعية متطلعة

هذا السجال المفتوح حول أهمية الصورة الضوئية، وطبيعتها، وقربها أو بعدها من الفن الحقيقي، ولغة التعبير الراقية، الذي رافق ولادتها وما زال قائماً حتى الآن، سيبقى مستمراً في الأيام المقبلة، مثله في ذلك مثل عملية تحديد طبيعة الفن التي كان

للصورة الضوئية فضاء إبداعي رحب



الجدل -وما زال- قائماً حولها، وفي ذلك تكمن حيوية الفن وغناه وإبداعه الذي لا يمكن أن يركن في أفق محدد، بل هو دائم التطلع إلى آفاق جديدة، يجددها ويتجدد فيها.

قد لا تصل الصورة الضوئية إلى مصافّ اللغات الإبداعية الراقية؛ كالرسم، والشعر، والموسيقا، أو تُقبل عضواً أصيلاً في جمهورية الإبداع، لكنها ستبقى مسكونةً بهذا الهاجس ما دامت تقودها مواهب خبرت جيداً قدراتها، وتمكنت من أسرارها، وقادرة على الاستفادة من التطور المذهل والدائم لوسائل إنتاجها وتعميمها، وتوظيف ذلك لمصلحة الارتقاء بقيمها الفنية والتعبيرية.

* عز الدين شموط، تعريف بفنّ الحفر والطباعة، دمشق، ١٩٩٢م، ص١٤٣-١٤٨.



قصة الكاميرا

الكاميرا، أو القمرة، أو آلة التصوير، هي أداة تسجّل الصور، سواء أكانت صوراً ثابتة أم متحركة. وأتى مصطلح (كاميرا) في اللغة الإنجليزية من العبارة اللاتينية camera obscura، التي تعني (الغرفة المظلمة)، وأول من وصفها هو العالم العربي ابن الهيثم.

سعى الإنسان منذ أقدم العصور إلى حفظ صور حياته؛ فبدأ بالرسم في الكهوف، ثم الرسم على الجدران مثل المصريين القدماء، ثم بورتريهات من الشمع، وغيرها، حتى وصلنا إلى العالم العربي المسلم الحسن بن الهيثم، الذي تمّ سجنه في عهد الخليفة العباسي المتوكّل على الله؛ إذ لم يُثنِه هذا السجن عن مواصلة بحثه العلمي في الضوء والبصريات، والاستمرار في تسجيل ملاحظاته في سلوك الضوء وانعكاساته، فما كان منه إلا أن سجّل ملاحظته لدخول الضوء من خلال ثقب في جدار السجن، وسقوطه على الجدار المقابل حاملاً معه صورة غير حادة الملامح ومقلوبة لشجرة موجودة في خارج الزنزانة. سجّل ابن الهيثم ملاحظاته هذه حول انتقال صورة الشجرة مقلوبةً مع الضوء من خلال الثقب، فوضع عدداً من الملاحظات في هذا الموضوع، ووصف الأمر وصفاً دقيقاً، موضحاً قوانين الضوء في هذه الحالة. ودوّن ابن الهيثم اكتشافه هذا، ووصفه في كتاب (المناظر). وفي عام ١٦٦٠م طوّر العالم الأيرلندي روبرت بويل هو ومساعده الكاميرا البدائية، وأدخلوا إليها الأضواء. وفي عام ١٦٨٥م ابتكر العالم الألماني جوهان تزان نظام الصورة، وترتيب لون أيّ صورة، وبنى آلة تصوير كبيرة من الخشب. وبين عامي ١٨٢٠ و١٨٣٠م ابتكر العالم لويس داجير طريقةً في التصوير الضوئي عُرفت بـ(الداجيروتايب)، وكانت تُصوَّر على النحاس. وفي عام ١٨٣٥م ابتكر العالم الفرنسي وليم فوكس تالبوت نظاماً فوتوغرافياً جديداً سُمِّي (الكالوتايب)، وكانت تُصوَّر على الورق.

وكانت أول صورة فوتوغرافية حقيقية عام ١٨٢٦م على يد العالم الفرنسي جوزيف نيبس عندما استخدم الدوّار الخشب ليحفظ الفلم، وقد صنعت آلة التصوير هذه في باريس على يد الأخوين تشارلز وفينسينت شيفالير. واستخدم فيها جوزيف نيبس فكرة العالم الألماني جوهان هينريتش الذي ابتكرها عام ١٧٢٤م، وهي تعريض الفضة مع الطباشير إلى الظلام، ومن ثَمّ الضوء المفاجئ، فتثبت الصورة. وفي عام ١٨٥٠م اخترع العالم الألماني فريدريك سكوت فكرة ظهور الصورة على الزجاج، التي تُسمَّى كولوديون. ثم تطوّرت الكاميرا في منتصف القرن ١٩ على يد علماء كثيرين، منهم العالم الفرنسي أندريا أدولف، الذي اخترع طريقة الـCDV أو Carte de viste، وهي أن يكون الفيلم على شكل بطاقات صغيرة متتالية. وكانت أول صورة ألوان في التاريخ عام ١٨٦١م على يد العالم الفيزيائي جيمس ماكسويل بمساعدة المصوّر توماس سوتون، وكانت تعدّ مجرد تجربة للصورة الملونة.

المصدر: الموسوعة الحرة على الإنترنت (ويكيبيديا): http://ar.wikipedia.org

شعر

خذ رئتي

عبدالمجيد محمد التركي

صنعاء – اليمن

يصطَكُّ بابُ الشوقِ في وجه الحزين
بلا هوادة
في قلبه الأشواقُ
كم تشكو مخاضَ الوصل
ترتقب البزوغ بلوعةٍ حرَّى
تتوق إلى الولادة
ذاوٍ على ظهر الطريق يقول للأسفلت
خذ رئتي
وخذ حريتي
طِرْ بي سريعاًه
في فضاء الروح
حيث الروح تخشى أن أقيم على الهوى حدّاً
وتجهل أنني مازلت
أفتقد الإرادة



تعدُّ المويلَح إحدى محطات الطريق الساحلي المعروف بطريق الحاج المصري، بها قلعة قديمة تعرف باسم قلعة الوكيل. ووفقاً للتقسيم الإداري الذي صدر مؤخراً صنفت المويلح مركزاً مرتبطاً بمحافظة ضبا التابعة لإمارة تبوك. وكان يبلغ تعداد سكانها حسب نتائج التعداد العام للسكان سنة ١٣٩٤هـ (٢٧٢٢) نسمة[١].

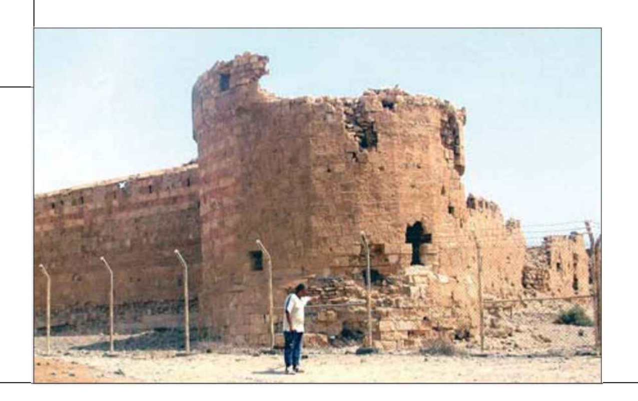


المويلح إحدى محطات طريق الحاج المصري

تركي بن إبراهيم القهيدان
بريدة - السعودية

الموقع

تقع المويلح بالقرب من البحر الأحمر بين ضبا والبدع، وتبعد من الأولى ٤٣كم بخط مستقيم في الجهة الشمالية الغربية من ضبا، وكذلك تبعد من الثانية ١٠٠كم. وتقع هذه



الباحث يشير إلى فتحات المدافع في أحد أبراج المراقبة الغربية (باتجاه البحر) بقلعة المويلح، والمسافة بين كل فتحة وأخرى متر واحد

المحطة أيضاً عند مصبّ وادي سر في البحر الأحمر، وهو واد ينحدر من جبل شار وجبال الخلصة؛ إذ تعدّ قلعة المويلح من أهم المنشآت العمرانية في هذه المحطة، وقد بُنيت في موقع مرتفع؛ مما سهّل لها المراقبة من جميع الجهات. كما لفت نظري اختيار مواقع الأبراج فيها؛ فمنها الغربي باتجاه البحر، ومنها الشرقي باتجاه البرية.

لمحة تاريخية

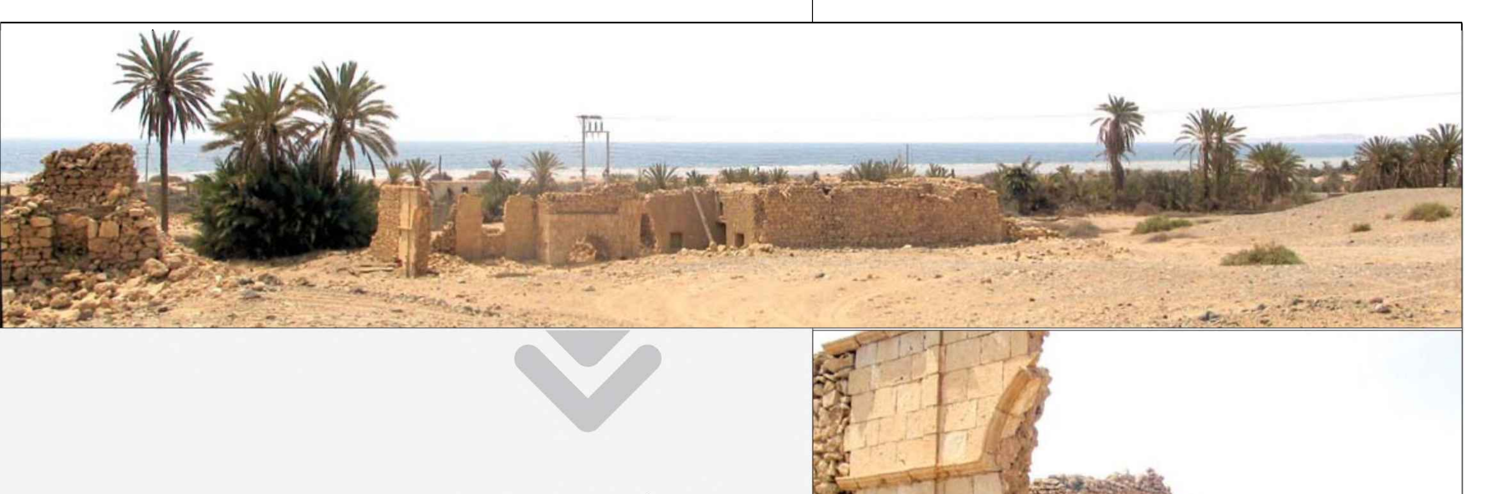
تُعرف هذه المحطة بـ(المُوَيْلَح) منذ القرن الثامن، ولعلّ ما ذكره المقريزي عن الشيخ الفقيه الأبناسي الشافعي يؤكّد ذلك حين قال عنه: «طلبه الأمير سيف الدين برقوق، وهو يومئذ أتابك العساكر؛ حتى يقلّده قضاء القضاة بديار مصر، فغيّب فراراً من ذلك وتنزهاً عنه إلى أن ولي غيره، وكانت ولادته قبيل سنة خمس وعشرين وسبعمئة، ووفاته بمنزلة المويلح من طريق الحجاز بعد عوده من الحج في ثامن المحرم سنة اثنتين وثمانمئة، ودُفن بعيون القصب»[٢]. الجدير بالذكر أن هذا الكتاب (المواعظ والاعتبار) يُعرف أيضاً بـ(خطط المقريزي)، وقد شرع في تأليفه بين سنتي ٨٢٠ و٨٢٥هـ، وفرغ منه سنة ٨٤٣هـ قبل وفاته بعامين.

ذكر الجبرتي أيضاً في كتابه (عجائب الآثار): «ثم لحقوا بإخوانهم، فكانوا هم أثبت القوم وأعقلهم ولو كان على غير قصد منهم، فكان مدة إقامة المعسكر والعرضي بينبع البر أربعة وعشرين يوماً، وأما الخيالة فإنهم اجتمعوا وساروا راجعين إلى المويلح»[٣].

وذُكرت المويلح فيما دوّنه الرحّالون الذين رافقوا ركب الحجيج في القرن الحادي عشر الهجري، ذكرها الخياري في حجة ١٠٨١هـ. وكانت هذه المحطة تُذكر بعد النبك، ذكرها اليعقوبي في البلدان محطةً في طريق الحج المصري، والنبك بين ضبا والمويلح، وذكرها صاحب (درر الفرائد) على أنها المويلح، وذكرها بالاسم نفسه ابن قدامة في (الخراج)، ووُصفت في النصف الأول من القرن الحادي عشر بجودة الماء، وطيب العيش، تكثر بها الأشجار[٤]، وكان بها قلعة. وفي نهاية القرن الثاني عشر الهجري وصفها الزياني في كتابه (الترجمانة الكبرى) في حجه سنة ١١٧٠ هـ بأنها «ميناء تأتي إلى سواحله السفن من السويس، ويأتيه الوارد والصادر، وبه جملة من الكروم، وبجوار قلعته تودع ودائع الحجاج، ويقيم به ركب الحاج أحياناً ثلاثة أيام»[٥]. وتقطع المرحلة من عينونة إلى المويلح في نحو ١٢ ساعة، وقد وصفها عبدالولي عام ١٨٤٨م بأنها «قرية بها حامية من الجند، وبها ٨٠ بيتاً، وهي سوق للبدو المجاورين لها، وكانت المراكب تُرسل إليها بمؤن للحجاج»[٦].

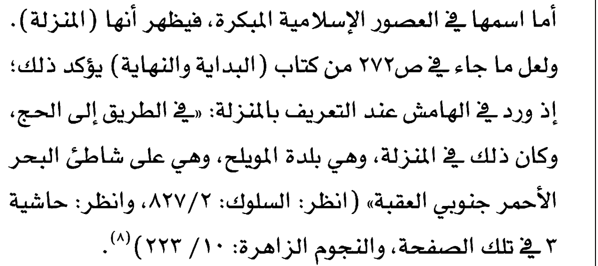
وكانت القلعة في عهد المماليك برجاً، ثم أمر بتشييدها السلطان العثماني سليمان القانوني في سنة ٩٦٨هـ، وكان يقيم بها بعض الجنود لحراستها وحماية الحجاج وموارد المياه، ويخزن فيها أيضاً الذخائر والمؤن لتأمين الحجاج وخدمتهم. ومنذ إنشاء القلعة وهي تتبع ولاية مصر التابعة للدولة العثمانية، وفي عهد الخديوي (١٣١٠- ١٣٣٣هـ) فُصلت القلاع الحجازية عن إدارة مصر، وجعلتها الدولة العثمانية تحت وصاية والي الحجاز. ورُمِّمت القلعة ثلاث مرات خلال سنوات: ١١٨٥، و١٢٣٦، و١٢٨١هـ. كما قصفت القلعة إحدى البارجات في الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٥م[٧].

قلعة المويلح مبنية بصخور مهذّبة متوسطة الحجم، بينها مونة من الجصّ، ويراوح سمك جدرانها بين المتر الواحد والنصف متر



مزارع فيها أشجار من النخيل قرب قلعة المويلح، ومنازل متهدمة توحي أسقفها عتباتها الخشبية بأن تاريخها يعود إلى القرن الماضي، وتظهر خلف المنازل مياه البحر الأحمر

أطلال أحد القصور بالقرب من قلعة المويلح يبرز فيه فنّ العمارة الهندسية، خصوصاً في الأقواس الحجرية. وفي أسفل الصورة يظهر جانب من حفرة كبيرة يبدو أنها بئر مطمورة



ومازالت هذه المحطة تُعرف حتى وقتنا الحالي بـ(المويلح). أما اسمها في العصور الإسلامية المبكرة، فيظهر أنها (المنزلة). ولعل ما جاء في ص٢٧٢ من كتاب (البداية والنهاية) يؤكد ذلك؛ إذ ورد في الهامش عند التعريف بالمنزلة: «في الطريق إلى الحج، وكان ذلك في المنزلة، وهي بلدة المويلح، وهي على شاطئ البحر الأحمر جنوبي العقبة» (انظر: السلوك: ٨٢٧/٢، وانظر: حاشية ٣ في تلك الصفحة، والنجوم الزاهرة: ١٠/ ٢٢٣)[٨].

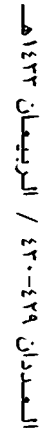
المشاهدات الميدانية

هذه القلعة شبيهة كلّ الشبه بالقلاع الحجرية الكبيرة في الجزيرة العربية، التي شيّدت في عهد الدولة العثمانية بهدف خدمة الحجاج ومراقبة الطريق. وهي شبيهة أيضاً بالقصور المبنية من الطين خلال القرن الماضي، خصوصاً الطراز الهندسي الخارجي؛ كقصر لينة بمنطقة الحدود الشمالية، وقصر قبة بمنطقة القصيم.

والقلعة مبنية بصخور مهذّبة متوسطة الحجم، بينها مونة من الجصّ، ويراوح سمك جدرانها بين المتر الواحد والنصف متر أو نحوه. وبعضها مليّسة بالجصّ، كما طُلي بعضها، خصوصاً جوانب جدران المداخل، بمادة قريبة من اللون الأحمر. وتضم



إلى اليسار تظهر فتحات في أحد أبراج المراقبة الشرقية بقلعة المويلح، كما تظهر أسفل الصورة (جهة اليمين) بقايا منشأة حجرية





تلال أثرية قرب قلعة المويلح
وأطلال منشأه حجرية

القلعة نحو سبعين غرفة، ومخازن للسلاح، إلى جانب خمس آبار مطوية بالحجارة، منها ما يحمل نقوشاً تأسيسية(٩)، يحتوي بعضها على ماء يصل عمقه إلى ٥,٥م. وتوجد أيضاً مقبرة إسلامية بداخلها مسجد، وخمس وحدات معمارية بُنيت من الحجر والجصّ، إضافةً إلى بعض كسر الفخار الإسلامي(١٠). ويشاهد في بقايا المسجد محراب مبنيّ بصخور مهذبة بطريقة هندسية رائعة. كما يحيط بالقلعة سور ضخم في أركانه أربعة أبراج، يبلغ نصف قطر الواحد منها خمسة أمتار أو نحوها، وتظهر في كل برج سبع نوافذ لمدافع قديمة، بعضها موجود في القلعة، ويحيط بالسور بين كل برج وآخر فتحات صغيرة للبنادق، المسافة بينها متر واحد تقريباً.

وبجوار القلعة تلال أثرية، وبقايا منشآت حجرية. ويحيط بها أيضاً، على شاطئ البحر الأحمر، مجموعة من المزارع، وأشجار من النخيل، ومنازل متهدمة توحي أسقفها وعتباتها الخشبية بأن تاريخها يعود إلى القرن الماضي.

وكذلك لفت نظري أطلال أحد القصور بالقرب من قلعة المويلح؛ إذ يبرز فيه فن العمارة الهندسية بشكل رائع، خصوصاً في الأقواس الحجرية. وقد رأيتُ عنده حفرةً كبيرةً يبدو أنها بئر طمرتها الأتربة.

المراجع

(١) بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص١٢٩.
(٢) المواعظ والاعتبار، ج٣، ص٢٠٠.
(٣) عجائب الآثار، ج٢، ص٣٥٢.
(٤) الموسوي، رحلة الشتاء والصيف، ص١٨.
(٥) الزياني، الترجمانة الكبرى، ص٢٢٢. وانظر: عبدالولي، في شمال جزيرة العرب، ص١٤١.
(٦) بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص١٢٩.
(٧) صحيفة الرياض، ٤ جمادى الأولى ١٤٣٢هـ/ ٨ إبريل ٢٠١١م، العدد ١٥٦٢٨.
(٨) البداية والنهاية، ج١٤، ص٢٧٢.
(٩) وكالة الآثار والمتاحف، آثار منطقة تبوك، ص١٨٤.
(١٠) أطلال، العدد ٧، ص٤٤.



هزاع الشمري
الرياض – السعودية

قصة

في إحدى السنين ربت الأرض فأنبتت عشباً عظيماً، وشجراً كثيفاً في منطقة عرعر - اليوم - ولم تكن مدينة عرعر نفسها موجودة، فانحازت القبائل التي حولها إليها مثل: الظفير، وعنزة، وشمر؛ لأنه كان عشباً وشجراً (مغرفلاً) لم ير مثله تتناوح عصافيره وطيوره، وتتمايل أغصانه طرباً، خيراته وفيرة فتوادعوا فنزل كل فريق في حيز من الأرض التي تليه وهم بُعداء بعضهم عن بعض، فربعوا ربيعاً طلقاً فكانوا يؤرخون بهذه السنة فيقولون: سنة الربيع الطيب.

فلما انقضى فصل الربيع وجاء فصل الصيف بدأ العشب يصفر ويحمى، ولكن الشجر بقي مخضراً فاشتدت حرارة الصيف قليلاً قليلاً، ففكروا بالرحيل إلى أراضيهم حيث محل الجيّان والقلبان، فهذه الأرض ليست بها جيان للشرب والسقي، وبقية المياه التي كانت في المستنقعات والخباري بدأت تنضب إلا إذا منحها الله مطراً صيفياً فتتجدد الخباري.

وفي عصر من تلك الأيام السمان بدأت الغيوم تنشأ فتتجمع في السماء، وبدأ البرق يأخذ الأبصار، وصار الرعد يزأر وكأنه يشق السماء شقاً، فانهمرت سحابة على خبراء الجديدة الكبرى حتى شقت الأرض ودقاً، وسحتها سحاً شديداً، فقال القوم: الحمد لله منشئ السحاب، ومسقي الأرض والدواب، هذا فضل من فضله، فلما أبصروا وجدوا هذا المطر فوق ما يتمنون، ولو نزلت عليهم نزول كبيرة وكثيرة وشاركوهم، لكفاهم حتى الربيع القادم.

فتشاور كبار القوم لكل قبيلة من القبائل الثلاث أيرحلون أم يقيمون هذا الصيف هنا، فاستقروا بالإجماع أن يقيموا هنا، ولكنهم سينزلون على هذه الخبراء، وسيبذلون جهداً آخر، ويتفقون عرفياً مع القبيلتين الأخريين موادعة أن لا يعتدي أحدهم على الآخر، ولا تأوي القبيلة أي معتد اقترف جرماً في القبيلة الأخرى فإذا وقع اعتداء فَعَلَى شيخ القبيلة رد المعتدي إلى قبيلته؛ لأن الماء ربما وقع فيه ما وقع من جرم - لا سمح الله - يقترفه أحد الجهلة، وتعاهد ذلك شيوخ القبائل الثلاث. فسرت الاتفاقية مسرى التنفيذ فنزلت العربان على الخبراء صيفاً جموعاً كبرى، وكل منهم أخذ منزله بعيداً عن القبيلة الأخرى أي جعلت الأرض المحيطة بالخبراء ثلاثة أقسام بينهم، ولا يرى طرف المنازل من كثرتهم.

وفي صباح ذاك اليوم اعتدى رجل من شمر فقتل شمرياً آخر، وهرب القاتل ملتجئاً إلى ابن هذال شيخ عنزة فأدركته طلب قبيلة شمر فلجأ إلى حرم ابن هذال، ودخلوا هم على ابن هذال وقالوا له: نحن نطالبك بتنفيذ المعاهدة، وهو أن ترد هذا الرجل إلى قبيلته ونحن نحاسبه، فعرفت ابنة ابن هذال الحوار الذي دار بين والدها والشمامرة ففهمت أنه سيسلمه لهم إنفاذاً للاتفاقية والمعاهدة التي أبرمت حين نزلوا على هذه الخبراء، فقالت للقاتل: إنهم سيسلمونك إلى محل جرمك، ولكن عليك بهذه الفرس واركبها، واهرب عليها إلى بدر بن صويط شيخ الظفير لعله يلجئك.

وكانت فرس ابن هذال، وهي من الأصائل البارعات في الطراد، من خيار خيل العرب آنذاك، وكانت مربوطة في حرم النساء وبسرعة فائقة أركبته عليها وهرب إلى ابن صويط بسرعة البرق ونظر ابن صويط، فرأى الشمامرة وهو خارج من بيت ابن هذال يريد ابن صويط فكروا خلفه يطاردونه على خيلهم، ولكنه سبقهم، وخوف اللحوق به. التجأ إلى بيت صغير (خربوش) بجوار بيت ابن صويط، فأدركوه، لكنه دخل إلى محارم البيت، وهو بيت أم بدر بن صويط فأدخلته، وباعتباره بيت امرأة صوبوا إلى بيت الشيخ بدر، وكان به رجال كثيرون من الظفير يتقهوون ويتحدثون فنهضوا واستقبلهم بدر فدار حديث طويل بينهم مرده أن لا بد من تسليم هذا الرجل القاتل إلى قبيلته إنفاذاً للاتفاقية السالفة الذكر، فأراد بدر تسليمه إليهم تنفيذاً للاتفاقية، فوقفت أمه أمام بيتها وبيدها سكين كاشفة صدرها وممسكته بيدها الأخرى فقالت:

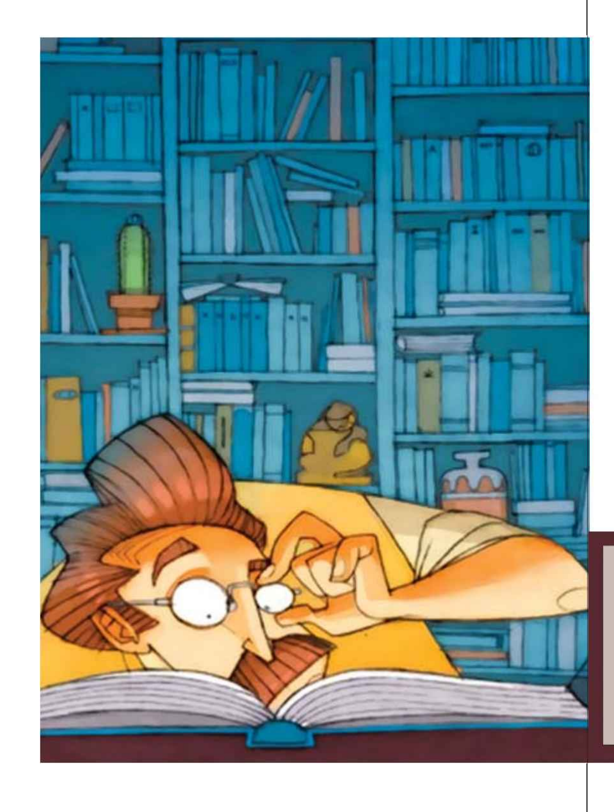
يا بدر بن صويط والله والله والله ثلاث مرات إن سلمته لقومه لأقطعنّ ديداً (ثديها) رضعت منه بهذه السكين، هذا دخيلي أنا. ثم إن بيتي لم يدخل في اتفاقيتكم المبرمة؛ لأنني عام الاتفاقية كنت أنا وبيتي هذا في مكة للحج.

فقال بدر للقوم لن أسلم دخيل والدتي إليكم، وأدخله.



تقوم القراءة الابتكارية على الدمج بين مهارات القراءة بوصفها أحد فنون اللغة، والابتكار والإبداع بوصفهما مهارةً عقليةً قابلةً للنمو في إطار منهج تعليمي يعكس هذا المفهوم للقراءة، ويدور حوله، وينعكس من خلاله؛ فالإبداع والابتكار لا يُولدان في فراغ[1].

طبيعة القــــراءة الابتكارية وعملياتها



تتضمن القراءة الابتكارية تخيل كيف بني النص بهذا الشكل؟ ولماذا؟ إنه يفكّر في ماذا يقول النص؟ وكيف يقول النص ما يقول؟ ولماذا قال النص ما قال؟

محمد عبد الله الحاوري
صنعاء - اليمن

ومن الضروري أن ينظر القرّاء إلى قراءتهم بوصفها عمليةً ابتكاريةً بالطريقة نفسها التي ينظر فيها الكتّاب إلى كتاباتهم بوصفها عملية ابتكارية. والقراءة في مفهوم القراءة الابتكارية هي استكشاف فكرة، أو حدث، أو نقاش مشكلة. ولأن القراءة استكشاف تمثّل النصوص منظورات متعددة للموضوع الواحد[٢].

وتمكّننا القراءة الابتكارية من إدراك العلاقات بين الظواهر والأفكار بشكل جديد وأفضل؛ مما ينتج منه مركب من فكر وفعل جديدين؛ مثل: القدرة على التجديد لما هو معروف ومتّفق عليه، وإيجاد علاقات جديدة لأشياء معروفة، والقدرة على سرعة التكيّف بالنسبة إلى المواقف الجديدة، والتلقائية والتعبير الحرّ، والقدرة على الحساسية للمشكلات المحيطة بالفرد[٣]، وتجنب الروتين العادي، والطرائق التقليدية للتفكير، مع إنتاج جديد وأصيل غير شائع يمكن تحقيقه أو تنفيذه[٤]. والمهم هنا هو النظر إلى الابتكار بوصفه منتجاً نهائياً لإجراء معيّن أو سلسلة من الخطوات المنهجية، التي يمكن أن تدرس وتمارس، ويكون لها قيمة مضافة في الحياة[٥].

وهناك عدة أشكال لكي يقوم القارئ بهذا النوع من القراءة، منها: التفكير في كيف يمكن أن تعمل أفكار المؤلف في سياق آخر، وأن يؤسّس القارئ عدة ارتباطات بين عدد من المؤلفين

والنصوص عندما يقرأ أو يردّ على ما يقرأ، ويطوّر قراءته من خلال هذه الطرائق، وأن يحوّل القارئ عملية القراءة إلى عملية موجّهة ذاتية مبدعة تساعد على امتلاك طرائق جديدة للتفكير رداً وقبولاً لفهم ما يقرأ، وفهم العالم أيضاً.

عمليات القراءة الابتكارية[٦]

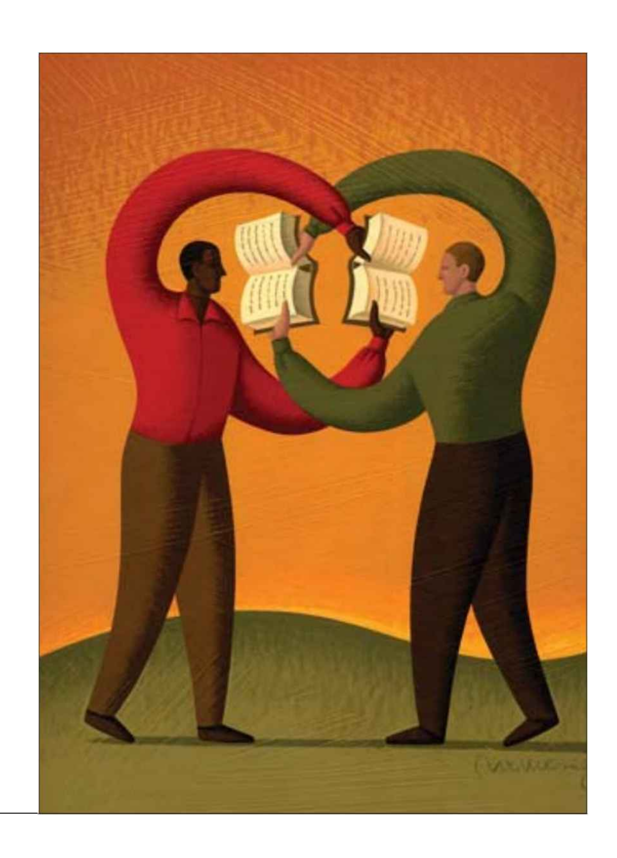
تتم عملية القراءة الابتكارية من خلال إنجاز المهام الآتية في القراءة:

- مرحلة ما قبل القراءة واكتشاف المادة المقروءة:

وهي مرحلة التخطيط Planning للقراءة، وبناء الهدف منها Perform goal setting. ويساعد تحديد الهدف من القراءة على اتخاذ إجراءات تحقيقه؛ فقد يكون الهدف في إحدى مراحل القراءة المساعدة على الفهم، وقد يكون تدوين ملاحظات، أو وضع أسئلة حول النصّ المقروء. فيستخدم القارئ مثلاً البدء بالأسئلة Start with Questions، ويسأل نفسه عن المعلومات التي يجب التركيز فيها. ومن الأمثلة على ذلك مطالعة المعين البصري؛ مثل: الصور، أو الخرائط، أو الكلمات المميّزة ببنط الخط أو بطريقته، أو غيرها من المعينات البصرية؛ فإذا كان المعين البصري صورةً مثلاً يكون السؤال: عن أيّ شيء تعبّر الصورة؟. فالقراءة الابتكارية تؤدي إلى الاتصال بالأسئلة، واستعمالها في القراءة، وهذا يحدث عندما نسمح للخيال بالمشاركة في فهم ما نقرأ.

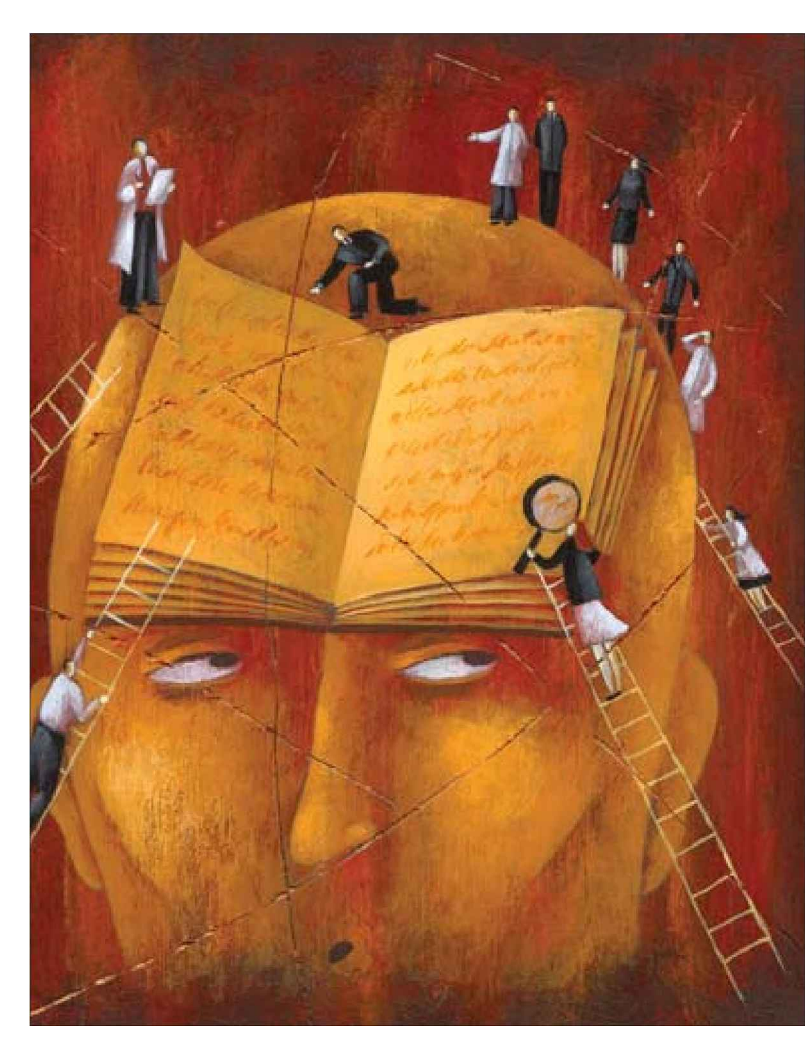
ويستخدم كذلك التفكير في الأسئلة Think of Questions، فيقوم القارئ بالتفكير في الأسئلة التي تتناسب مع العناوين والعناصر الأساسية في النصّ المقروء، ويعتمد على خبراته السابقة ذات الصلة، وتوقعاته عن المقروء، وفهم طبيعة المهمة المقروءة، وتنشيط خبرات القارئ السابقة، والتنبّؤ بما يحتويه النصّ، وسؤال النفس عن معلومات النصّ المقروءة، وحصر الكلمات الغريبة التي تحتاج إلى مزيد بحث لكي يتم البحث عنها فيما بعد.

ويستخدم القارئ في هذه القراءة علامات استفهام بجانب الممرات أو المفاهيم التي تستوقفه بشكل خاصّ، ويستغرق الوقت الكافي لكتابة التعليق الذي يجعل الأمر واضحاً للمشكلات التي تثيرها الممرات والمشكلات التي يبرزها النصّ، ويلاحظ علاقتها بالمرور السابق هل تدعمه أو تتناقض معه.



بعد تفحص النص وسرده يراجع القارئ النص المقروء كاملاً؛ مما يمكنه من تقويم تعلّمه، وفهمه النص، وتنظيم الأفكار الرئيسة والأفكار الداعمة لها

يقوم القارئ بعملية مسح للنص لتكوين خريطة معرفية للنص المقروء، وتكوين فكرة أكثر عن الموضوع، وملاحظات طريقة تنظيمه، واستعراض أفكاره الرئيسة



- مرحلة في أثناء القراءة أو مرحلة إعادة القراءة:

وفيها يقوم القارئ بعملية مسح للنص Survey؛ لتكوين خريطة معرفية للنص المقروء، وتكوين فكرة أكثر عن الموضوع، وملاحظات طريقة تنظيمه، واستعراض أفكاره الرئيسة. ويقوم كذلك بالقراءة الانتقائية Selective Reading، وهي التي تمكّن القارئ من تتبّع انسياب الأفكار، واكتشاف العلاقات بين المعلومات في النص، وربط الخبرات السابقة بالموضوع المقروء، والتمييز بين تنقّلات الكاتب بين أجزاء الموضوع المختلفة، وكيف ينتقل، ومتى يعدل موقفه، وكيف، أو يقدم الكاتب أسئلة جديدة.

وفي هذه المرحلة يقوم القارئ بمسح المادة المقروءة، وتسجيل ملاحظاته الأولية حول أقسامها المختلفة، وعناوينها الفرعية، وأفكارها الرئيسة، وأخذ نظرة عامة عن العلاقات داخل النص، وتبيّن مواقع القوة والضعف والثغرات والتناقضات داخل النصّ، أو مع خبرات ونصوص أخرى مرّ عليها القارئ، وفي أغلب الأحيان لا يستطيع القارئ التوصّل إلى ذلك إلا عندما يصل إلى نهاية النص.

وهذا يقتضي أن يجعل القارئ بيده قلماً لتسجيل ملاحظاته وأسئلته أولاً بأول؛ لتصعيد قراءته للنصّ؛ لأن كتابة التعليقات والأسئلة في الهوامش سيساعده على تطوير خريطة المواقع المختلفة التي يحققها من خلال قراءة النص. وبالكتابة في الهوامش، وبجانب الممرات والعناوين المهمة والأفكار الرئيسة، يكون القارئ قد حقّق الخطوة الأولى في القراءة الابتكارية.

وهنا يقوم القارئ بالتحقّق من فهمه ما يقول المؤلف، وفي الوقت نفسه يوجّه طاقته للعلاقات الضمنية بين الأفكار والأحداث داخل السياقات، كما تتضمن القراءة الابتكارية كذلك تخيّل كيف بُني النص بهذا الشكل، ولماذا. إنه يفكّر في ماذا يقول النص؟ وكيف يقول النص ما يقول؟ ولماذا قال النص ما قال؟ والعلاقات داخل النص، وارتباطاتها فيما بينها في مواقعها المختلفة.

إن إيجاد مثل هذه الارتباطات والعلاقات لا يقتصر على الكتّاب

في أثناء كتاباتهم؛ فالقراء الابتكاريون يخلقون هذه العلاقات والارتباطات؛ فالمطلوب في القراءة الابتكارية تجاوز قراءة ما الذي قال المؤلف، وتركيز الطاقة في النتائج المترتبة على الذي قاله.

وإذا كانت القدرة على فهم أفكار الآخرين بدقة تعدّ مهمةً أساسيةً في القراءة فإن من المهم أيضاً تأكيد أن القراءة لا تقتصر على فهم أفكار الآخرين بشكل أفضل، بل هي عملية ابتكارية لتطوير قدرات القارئ، وتحسين فهمه أفكاره وأفكار الآخرين.

توظيف التجارب والخبرات

القراءة الابتكارية تعني استعمال القارئ تجاربه وخبراته ومعلوماته السابقة لفهم أفكار القارئ، وتطوير أفكار القارئ نفسه، وفحص الأفكار المهمة التي قدمها النص، ويسأل على سبيل المثال: هل يمكن صنع هذه الأفكار من منظور مختلف؟ وهل تثير تجربة القارئ قضايا أو أسئلة لم تتعرض لها المادة المقروءة؟ وكيف يمكن النظر إلى أفكار المؤلف في سياق جديد مختلف عن السياق الذي قدمه كاتب الموضوع؟. وبذلك يطور القارئ إسهامه في القراءة؛ فهو متلقٍّ منتج، وليس مجرد مستهلك لأفكار الآخرين. أما القارئ الذي لا يستعمل الأسئلة في قراءته، فهو لا يقوم بالقراءة الابتكارية، ويكتفي بفهم ما يقوله المؤلف وترديده فقط.

وفي هذه المرحلة يحدّد القارئ الكلمات المهمة والمفتاحية Key words والمصطلحات، وكذلك يتم تحديد المعلومات المهمة Identification، ويسعى القارئ إلى تحديد الفكرة الرئيسة في المعين البصري؛ كأن يتعرّف طبيعة العلاقة بين متغيّرين في رسم بياني. ويتوقف عند الجمل غير المفهومة أو التي تثير أسئلته، ويستخدم السؤال Question، ويتوقع الأسئلة التي يمكن الإجابة عنها من خلال المادة المقروءة، ويقيّد أسئلته في هامش النص، وهنا يقوم الفرد بقراءة النص، والربط بين عملية القراءة وكتابة التعليقات أو التعبير عن الأفكار في الحواشي؛ حتى تعبّر الحواشي عن تلخيصات موجزة تفسّر النص المقروء أو تنقده.

ويقترح القارئ إجابات متعددة للأسئلة المطروحة؛ مما يساعد القارئ على تطوير الخريطة المعرفية التي كوّنتها خطوة المسح السابقة، واستخدامها إطاراً معرفياً للقارئ يمكنه من إضافة المزيد من التفاصيل وتنقيح الأفكار.

وفي هذه المرحلة أيضاً يقوم القارئ بتفحّص النص Read، فيتفحص كل جزء من أجزاء النص، وتحديد العلاقات State Relations بين الأفكار الرئيسة والتفاصيل التي تدعمها، ويحدد القارئ طريقة ارتباط النص المقروء بغيره من النصوص في الوحدة الدراسية، ومدى ارتباطه بخبرات الفرد السابقة، وأهداف المقرر.

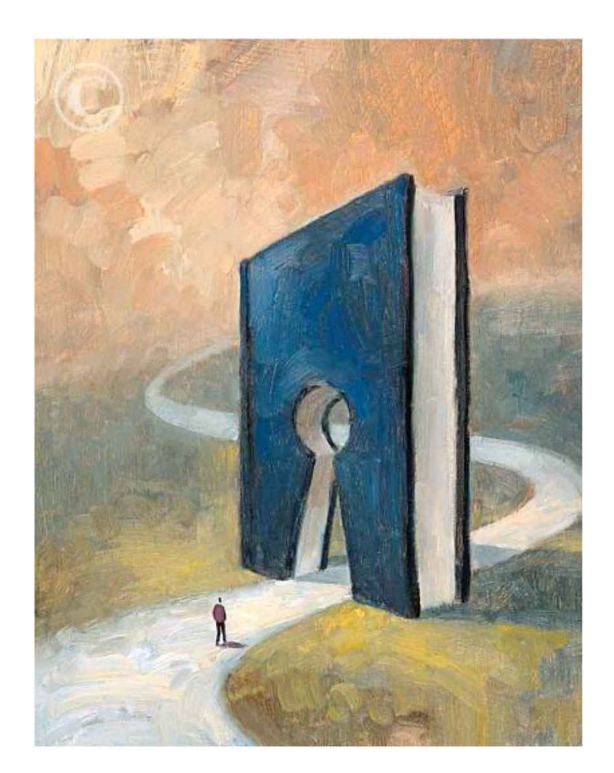
ويسعى القارئ إلى الإجابة عن الأسئلة التي توقعها في الخطوة السابقة، ويدون ملاحظاته عن الأفكار غير المتوقعة، ويصنف المعلومات المقروءة، ويحدد توجّهات المؤلف من خلال مرامي النص، مستخدماً إستراتيجيات القراءة المناسبة، ويعمل

المطلوب في القراءة الابتكارية تجاوز قراءة ما الذي قال المؤلف، وتركيز الطاقة في النتائج المترتبة على الذي قاله

يستدعي القارئ النقاط المهمة؛ كي يتم الربط عقلياً بين الأفكار الرئيسة والتفاصيل، وقد يتم الاستدعاء بطريقة شفهية أو كتابية

على فهم المعنى من خلال السياق، والخبرات السابقة، والتنبؤات بمرامي النص، واستكشاف المعاني الضمنية.

ويراقب القارئ ذاته Monitoring-self في أثناء القراءة، ليتمكّن من تحديد المعلومات ذات الصلة بالموضوع، وتحديد المعلومات الزائدة أو الناقصة في النص، وتحديد المفاهيم الأساسية، ويعمل على إنتاج أفكار أصيلة من خلال المادة المقروءة، ويقارن ما يقرؤه بمعلوماته وخبراته السابقة، ويحاول وضع عناوين متعددة للنص، ويتوقع النتائج من خلال استخدام إستراتيجية ماذا يحدث لو أجرينا تغييراً أو تحويراً في النص أو في القصة؟ ويصف مشاعره كما لو كان أحد أبطال النص، وكذلك يحاول إعادة الصياغة Paraphrasing للمادة المقروءة بطريقته الخاصة.



القراءة لا تقتصر على فهم أفكار الآخرين بشكل أفضل، بل هي عملية ابتكارية لتطوير قدرات القارئ، وتحسين فهمه أفكاره وأفكار الآخرين.

وفي هذه المرحلة أيضاً يقوم القارئ بعملية السرد Recite، وفيها يستدعي القارئ النقاط المهمة؛ كي يتم الربط عقلياً بين الأفكار الرئيسة والتفاصيل، وقد يتم الاستدعاء بطريقة شفهية أو كتابية، وهذا الأمر يساعد على تخزين المعلومات في الذاكرة أمداً أطول، ويساعد على توظيفها لاحقاً عند القراءة أو الكتابة.

ويقوم القارئ باستخدام الإستراتيجية المتعددة المسارات Mutipass Strategy، وتهدف هذه القراءة إلى تحسين القراءة في المواد الدراسية المختلفة، والمقالات العلمية. ويتناول المسار الأول المسح القرائي؛ إذ يتصفّح القارئ النصّ بسرعة حتى يكون على وعي بتصميم النص، وأجزائه الرئيسة، ويتصفح عناوين النص الجانبية والمعينات البصرية المختلفة. ويتناول المسار الثاني تقدير حيّز النص المقروء؛ بمعنى أن يدرس القارئ النص بعناية، ويبحث عن المعلومات والتمثيلات البصرية المدعمة للأفكار، ويوجّه انتباهاً خاصاً إلى ما قد يكون في النص من إيضاحات أو إحصائيات أو رسوم وأشكال. ويمثّل المسار الثالث تقويم المعلومات المقروءة؛ فيسعى القارئ إلى تقويم فهمه المعلومات، ويقوم بتحديد ما تعلّمه، وما يحتاج إلى تعلّمه.

وبعد أن ينتهي القارئ من هذه المرحلة يكون قد ألمّ بأفكار المادة المقروءة، واستنبط مجموعةً من الأسئلة عن المادة المقروءة، يُحدّد منها الأكثر أولويةً حول النصّ كله، ويتّجه إلى تعريف الكلمات الغريبة التي حصرها، ويكتبها بجانب الكلمات في النص.

وقبل أن يقوم القارئ بمرحلة مراجعة القراءة يقوم ببناء الارتباطات بين الأجزاء المختلفة للموضوع، وكيف تتعلق هذه الأجزاء المختلفة معاً، ويقوم بمراجعة ملاحظاته عن القراءة الأولى، ويحدد المفاهيم التي يؤكدها النص، ويكثر ورودها فيه؛ فمن خلالها يستطيع القارئ الإشارة إلى الخيوط المتعددة في مناقشة المادة المقروءة.

ويعيد القارئ المادة المحيطة بالمادة المقروءة (تعليقاته،

تجعل القراءة الابتكارية القارئ لا يكتفي بالصمت إزاء ما يقرأ، أو بالمناقشة والفحص فحسب، بل تعمد إلى تحريك القارئ لإنتاج أفكار خاصة به، ويقدم آراءه الخاصة بما يقرأ، فيعمد إلى كتابة أفكاره. إنه ينشئ نصاً موازياً للنص المقروء، بوصفه قاعدةً لانطلاقه وتحليقه. القارئ الذي يعدّ القراءة مكاناً لترديد الأفكار التي يقولها المؤلف من الصعب عليه إدراك أهمية الكتابة بعد القراءة، أو أهمية أن يضع خاتمةً أخرى للقصة التي قرأها، أو يكتب أكثر من عنوان مناسب للمادة المقروءة، أو يذكر أكبر عدد من الصفات لشخصية ما في النص، أو يضع حلولاً وبدائل متنوعة للمشكلة، أو أن يجري تغييراً في حدث من أحداث القصة، أو زمانها، أو مكانها، أو تحوير في شخصية من شخصياتها، ويعيد كتابتها في ضوء ذلك. أما القارئ الابتكاري، فيقوم بكلّ ذلك، ولا يكون خائفاً من تحمّل هذه القفزات المبدعة؛ لأن هذه المخاطرة تسمح له بالاحتكاك بمشروع تفكير جادّ عن الموضوعات المهمة فيما يقرأ؛ لأن الرد على القراءة بالكتابة يمكنه من الاحتفاظ بالمعلومات وتوظيفها بشكل جيد.

وملاحظاته، وأسئلته)؛ لأن هذا سيساعده على تمييز المفاهيم والأفكار الرئيسة لتركيز قراءته، ويؤكد إبراز الممرات الأكثر أهميةً لفهم أفكار المقروء، ومواقعه الرئيسة.

- مرحلة ما بعد القراءة:

لا تنتهي مهمة القراءة بمجرد الفراغ من قراءة النص المكتوب؛ فعملية القراءة تستدعي مراجعة المادة المقروءة Review؛ فبعد تفحّص النصّ وسرده يراجع القارئ النص المقروء كاملاً؛ مما يمكنه من تقويم تعلّمه، وفهمه النص، وتنظيم الأفكار الرئيسة والأفكار الداعمة لها، وتعزيز وجوده في الذاكرة. ويتم ذلك من خلال مراجعة الأجزاء الكبيرة في النص Review Big Parts، وترتكز هذه الخطوة على مراجعة مقدمة النصّ المقروء والملخّص، ومعرفة المعلومات الأكثر أهميةً، ويعيد صياغتها بطريقته الخاصة.

ويقوم القارئ بالتأمل Ponder، وتقويم الحواشي التي كتبها؛ لبيان مدى دقتها واكتمالها، وأن يفكر القارئ في معلومات النص المقروءة، وبالتحديد المعلومات التي أثارته، والمشكلات التي توقّف عندها، ويلخّص الأفكار الرئيسة، ويبحث عن معلومات إضافية، ويقوّم أداءه القرائي كله.

وفي هذه المرحلة يلخّص القارئ بلغته الخاصة الخيوط الجدلية للموضوع، ويبيّن كيف تتعلق معاً، ويكتب فقرةً قصيرةً عن التي قدمتها المادة المقروءة، ويقدم أفكاراً تدعم أو تتحدى أفكار المادة المقروءة، وإذا وجد أفكاراً تتعلق بالموضوع لم يناقشها الموضوع يسجلها. ويعيد القارئ قراءة الأسئلة التي أحاط بها الموضوع، ويسجّل ملاحظاته على الأجوبة المؤقتة التي قدمها لهذه الأسئلة.

المراجع

(١) انظر:

- عبدالستار إبراهيم، الإبداع: قضاياه وتطبيقاته، ط٢، ٢٠٠٢م، مكتبة الأنجلو المصرية، ص٢١٦.
- أحمد جمعة أحمد إبراهيم، برنامج مقترح في الأنشطة لتنمية الإبداع اللغوي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية الأزهرية، دراسات في المناهج وطرق التدريس، العدد ١٠٠، يناير ٢٠٠٥م، ص١٥-٢٠.

(2) http://www.newhum.com/for__students/tutorama/01__creative__reading.html

(٣) إسماعيل عبدالفتاح، الابتكار وتنميته لدى أطفالنا، ط١، ٢٠٠٣م، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ص١٧.

(٤) رشاد علي عبدالعزيز موسى، وسهام أحمد الحطاب، الابتكار، ط١، ٢٠٠٤م، دار الفكر العربي، القاهرة، ص١٧.

(٥) مصطفى شلبي، صناعة الابتكار في الحياة اليومية وقطاع المال والأعمال، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٦، الإعلامية للنشر، ص١٦.

(٦) انظر:

- زينب عبدالعليم بديوي، مهارات القراءة وعلاقتها بمكونات ما وراء المعرفة وإستراتيجيات التعلّم الصفّي، مجلة التربية، كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد ١٢١، أكتوبر ٢٠٠٣م، ص٢٧٧، ٢٧٨.
- إبراهيم أحمد بهلول، اتجاهات حديثة في إستراتيجيات تعليم القراءة، مجلة القراءة والمعرفة، العدد ٣٠، ٢٠٠٤م، ص١٥١-٢٢٠.

-Jamie Kaufhold. (2004) Creative Reading Responses: Multidimensional Motivation and Assessment.

- http://www.newhum.com/for__students/tutorama/01__creative__reading.html

كيف ينام الليل ؟!

دينا أديب الشهوان
الرياض – السعودية

غفا الليلُ عن حُزْنك
المتدفقِ تحت الصمتِ
المتبعثرِ في كلِّ مكان
في أفياءِ النهار
وعلى قبورِ الخنادقِ
في النارِ المغروسةِ
على عتباتِ اللحظةِ
بين خيوط الزمنْ.

ما زالوا يغتصبونَ الروح قبل صعودها
يسلبونَ السّنابل أوان الحصاد
يسرقون الأحلام
ويقصفونَ الطيرَ والشجر
فكيف ينامُ الليل
وعيون الصغار محدِّقات؟!

تنأى الأجسادُ على غيرِ ميعاد
فيتهاوى التاريخُ
وتُقلبُ الصفحات.

بغداد لك من القدسِ مناديل حرير
لنينوى الشمال ألفُ أغنية
تصدح فوق السحابِ
وعلى مرافئِ الخُلجان
تنهلُ من ماء الودقْ

تتراءى كبساط الكلمات
هي الجنةُ التي تختال فوق الغيم
كشموخ فرس بلا جواد.

عراقُ
يا سفرَ المؤرخِ يا رعشةَ الجُفُون
ولونَ الكحلِ الحالكِ
في عيونِ الباكياتْ.

أطفالُك يلهُون مع أطْفالِنا
فتلتقي الأرواح
وتبسط أجنحتها في السماء.



قراءة

مياه النيل

السياق التاريخي والقانوني

حوى النبي علي صالح

الخرطوم – السودان

الماء هو عصب الحياة، والقوة المحرّكة لها، وقد قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠)؛ فجميع الكائنات الحية تستمد الحياة منه؛ إذ هو ضروري للشرب، والزراعة، وتوليد الطاقة الكهرومائية، ودعم النظم البيئية. وليس للماء أيّ بدائل يستعاض بها منه؛ فهو -إذاً- أثمن الموارد الطبيعية، وأكثرها محدوديةً، وأيضاً أكثرها تعرضاً للهدر وسوء الاستخدام.



طول نهر النيل من منابعه حتى مصبّه: ٦٦٧١كم.

مصادر النهر: حوض الهضبة الإثيوبية (٨٥٪)، وحوض البحيرات الاستوائية (٧,٥٪)، وحوض بحر الغزال (٧,٥٪).

يمرّ النهر في عشر دول إفريقية: المنبع (بوروندي، ورواندا، وتنزانيا، وكينيا، والكونغو الديمقراطية، وأوغندا، وإثيوبيا، وإريتريا)، والمصبّ والممرّ (مصر، والسودان).

حجم مياه الأمطار الهابطة داخل حوض النهر: ١٦٦٠ مليار متر مكعب سنوياً، لا يُستغلّ منها سوى ٤٪، والباقي يُفقد بالبخر، أو في المستنقعات والأحراش، أو يذهب إلى المحيط.

التدفّق الإجمالي لمياه النهر: ٨٤ مليار متر مكعب سنوياً، حصة مصر منها ٥٥,٥ مليار متر مكعب، وحصة السودان ١٨,٥ ملياراً.

ونتيجةً للتطورات المتسارعة التي يشهدها العالم الآن أصبحت الحاجة إلى الماء تفوق المتوافر منه حالياً؛ ففي دراسة نشرتها مجلة (سيانس جورنال) الأمريكية، وهي مجلة علمية متخصّصة، أن استهلاك الفرد من المياه العذبة زاد خلال المدة من (١٩٥٠-١٩٩٠م) بنسبة ٥٠٪. وأوصت الدراسة بعدد من الخيارات للمحافظة على المياه، منها: الاهتمام بزيادة موارد المياه العذبة عن طريق بناء السدود على الأنهار، وخفض كمية الفاقد منه، والمحافظة على المياه من التلوث، والبحث عن موارد غير تقليدية، إضافةً إلى الحد من الإسراف في استخدامات المياه على جميع المستويات.

وبحسب بعض المراقبين الدوليين، فإن أزمة ندرة المياه ستكون سبباً مباشراً في قيام حروب جديدة في الشرق الأوسط بين العرب وإسرائيل. وذكر تقرير صادر عن الندوة التي أقامها مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية في واشنطن عام ١٩٨٧م حول السياسة الخارجية الأمريكية تجاه مصادر المياه في الشرق الأوسط أنه بحلول عام ٢٠٠٠م وما بعدها سيكون الماء هو القضية الرئيسة للصراع في الشرق الأوسط، وليس النفط.

كذلك لم يعُد مفهوم الأمن القومي لأيّ دولة يتلخّص كالسابق في القدرة العسكرية والاقتصادية، بل تعدى ذلك ليشمل عوامل أخرى لها تأثير قويّ ومباشر في الأمن والاستقرار وتنمية المجتمع، وأغلب هذه العوامل لها علاقة وثيقة ومباشرة بالماء؛ كالزراعة، وتزايد السكان، والاقتصاد، والبيئة.

وقد أفرزت هذه الصراعات مفاهيم مائية جديدة؛ مثل: خصخصة المياه، وبيع المياه ومبادلتها، وبورصات المياه وأسواقها. وألقت هذه المفاهيم الجديدة بظلالها على مياه نهر النيل، وظهر ذلك من خلال التصريحات والتهديدات التي وردت على لسان كثير من القادة والمسؤولين في دول حوض النيل الذين طالبوا بالمساواة المطلقة في قسمة هذه المياه التي تنبع من أرضهم، وعلى الجانب الآخر تمترس قادة دولتي الممرّ والمصبّ خلف الاتفاقيات الموقّعة مع حكومات هذه الدول، وسيزداد الأمر سوءاً بعد انفصال جنوب السودان، ودخول الأطماع الدولية إلى دائرة الصراع، وعلى رأسها إسرائيل التي كانت تطمع في مياه نهر النيل منذ تأسيسها، حتى إنها جعلت حدودها من النيل إلى الفرات؛ فـ«إسرائيل لديها مشكلة ليست ملحةً فقط، بل خطيرة» كما تقول الدكتورة زبيدة عطا في كتابها الذي صدر حديثاً بعنوان (إسرائيل في النيل)، بل إن أحد الكتّاب الإسرائيليين ذكر أن تكلفة ري الدونم من الأرض ستعادل قيمة إنتاجيته. وقد جاء ذلك واضحاً في كتاب شيمون



بيريز (الشرق الأوسط الجديد)، الذي ذكر أن لإسرائيل موقفاً أساسياً يحتّم عليها ضرورة اقتسام المصادر المائية، وأنها ترى ذلك مسألة سلام أو حرب في المنطقة، وأن منعها من الحصول على حاجتها من مياه المنطقة سيكون من دواعي الحرب، بل إن ديفيد بن جوريون أعلن منذ عام ١٩٥٥م أن «اليهود يخوضون مع العرب معركة المياه، وعلى نتيجة هذه المعركة يتوقف مصير إسرائيل. وإننا إذا لم ننجح في هذه المعركة فإننا لن نبقى في فلسطين».

وقد سعت إسرائيل إلى الوصول إلى هذا الهدف عبر طرائق كثيرة، منها: خلق علاقات مع دول الحوض عبر المساعدات الاقتصادية والمشروعات التكنولوجية؛ مما جعلها توطد علاقاتها مع كثير من هذه الأنظمة، خصوصاً في ظلّ تراجع دور مصر في إفريقية بعد عهد الرئيس جمال عبدالناصر، الذي كان لمصر في عهده دور بارز في إفريقية. وكذلك سعت إسرائيل إلى تغذية الشعور المعادي لمصر والسودان في إفريقية، وإيهام المسؤولين الأفارقة بأن حقوقهم في مياه النيل التي تنبع من أراضيهم مسلوبة من دون وجه حق، إضافةً إلى دعمها عدداً من حركات التمرد؛ حتى تخلق أوضاعاً غير مستقرة في المنطقة تضغط من خلالها على مصر لتنال من هذه المياه.

كان لابد من هذه المقدمة قبل أن نستعرض فصول هذا الكتاب الذي جاء بعنوان: (مياه النيل.. السياق التاريخي والقانوني)؛ إذ يُثار الآن جدل كبير حول حوض نهر النيل بين دول المنبع والمصبّ، وحصة كلّ فريق في مياه نهر النيل، ومدى إلزامية الاتفاقيات الدولية المُبرمة منذ الحقبة الاستعمارية التي تحدد حصص الأطراف المختلفة والتزاماتها تجاه نهر النيل. الكتاب من تأليف الدكتور فيصل عبدالرحمن علي طه -رئيس قسم القانون الدولي المقارن في جامعة الخرطوم سابقاً. وقد صدر في طبعته الأولى عن مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي في أم درمان عام ٢٠٠٥م، ويقع الكتاب في ٢٧٦ صفحةً من الحجم المتوسط، وجاء في مقدمة، وتسعة فصول، وملاحظات ختامية، سنحاول استعراضها هنا باختصار.

ازدياد الطلب على الماء

تناول المؤلف في المقدمة تسارع معدل النمو السكاني في العالم، وازدياد الطلب على الماء، وتوقّع أن يفجّر شحّ إمدادات المياه على المدى القريب منازعات وصراعات بين دول المجاري المائية الدولية حول كمية المياه ونوعيتها التي تحصل عليها كلّ دولة، ولن يكون نهر النيل بمنأى عن ذلك؛ فالنيل يعدّ من أكثر المجاري المائية الدولية تعقيداً؛ لكثرة الدول المشاطئة له، واختلاف مصالحها وتوجهاتها تبعاً لمواقعها الجغرافية؛ إذ تطلّ على شواطئ النيل وروافده عشر دول، هي: إثيوبيا، وإريتريا، وكينيا، وتنزانيا، وأوغندا، ورواندا، وجمهورية الكونغو الديمقراطية (زائير سابقاً)، والسودان، ومصر، وبوروندي، وبعض هذه الدول مُصنّفة ضمن دول العالم الأكثر فقراً، وتفاقم التعقيد بعد انفصال جنوب السودان.

وعلى الرغم من مضيّ نحو نصف قرن من الزمان على تحرّر معظم هذه الدول من الحكم الأوربي ما زالت مياه النيل محلّ خلاف وتنازع، ولا يزال النيل من دون نظام قانوني ومؤسسي يستوعب كلّ دول الحوض. ومع أن هذا الخلاف قد يوظف أحياناً أداةً سياسيةً، أو أداة تأزيم، إلا أنه خلاف قانوني في المقام الأول؛ فهو يتمحور حول المعاهدات والاتفاقيات التي

أفرزت الصراعات مفاهيم مائية جديدة؛ مثل: خصخصة المياه، وبيع المياه ومبادلتها، وبورصات المياه وأسواقها، وألقت هذه المفاهيم الجديدة بظلالها على مياه نهر النيل

أُبرمت بشأن النيل إبّان مدة النفوذ الأوربي في إفريقية، وحول الاتفاق الذي أُبرم بين مصر والسودان في عام ١٩٥٩م للانتفاع الكامل بمياه نهر النيل. وتعيب دول المنابع على هذا الاتفاق أنه تمّ من دون استشارتها، وقسم كل إيراد النيل بين مصر والسودان دونما اهتمام باحتياجاتها، إلا أن الإنصاف يقتضي -كما يرى المؤلف- الإشارة إلى أن هذا الاتفاق ترك الباب مفتوحاً أمام هذه الدول للمطالبة بتخصيص حصص مائية لها.

وأكد المؤلف أن عدم وجود نظام قانوني مُتّفق عليه بين دول حوض النيل لا يعني غياب القواعد القانونية الواجبة التطبيق على النيل؛ فكأيّ مجرى مائي دولي آخر فإنه تنطبق عليه مبادئ القانون الدولي العرفي المُقرّرة لمثل هذا النوع من المجاري. وقد دُوِّنت بعض هذه المبادئ في اتفاقية قانون استخدام المجاري المائية الدولية في الأغراض غير الملاحية التي اعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢١ مايو ١٩٩٧م.

وصف عام لمنابع النيل

قدم المؤلف وصفاً عاماً لمنابع النيل الإثيوبية والاستوائية، موضحاً أن نهر النيل هو من أطول أنهار العالم؛ إذ يبلغ طوله من أقصى منابعه إلى مصبّه نحو ٦٦٧١كم، ويقدر عدد سكان حوض النيل بنحو ٣٠٠ مليون نسمة، يعتمد نحو ١٦٠ مليون منهم على النيل في معيشتهم. ويقدر متوسط الإيراد السنوي للنيل بنحو ٨٤ مليار من الأمتار المكعبة في أسوان، ويستمد نهر النيل مياهه من ثلاثة مصادر رئيسة، هي: حوض الهضبة الإثيوبية (ويعدّ هذا الحوض من أهم المصادر؛ لأنه يزوّد النيل بنحو ٨٥٪ من إيراده)، وحوض البحيرات الاستوائية، وحوض بحر الغزال.

وتشمل مصادر الهضبة الإثيوبية: النيل الأزرق (الأباي)، الذي ينبع من بحيرة تانا، ويبلغ متوسط إيراده السنوي نحو ٥٢ مليار متر مكعب، ونهر عطبرة، وله رافدان، هما: الستيت (التكازي)، وبحر السلام، ويبلغ متوسط إيراده السنوي نحو ١٢ مليار متر مكعب، ثم نهر سوباط الذي يتكون من فرعين، هما: نهر البيبور، ونهر البارو، ويبلغ متوسط إيراده السنوي عند مصبّه بالنيل الأبيض نحو ١٣,٣ مليار متر مكعب.

الخوف من إدامة الصراع

حذّر كثيرون من أنه إذا تخلّت دول حوض النيل عن الاتجاه التعاوني، ومضت كلّ دولة على انفراد في تطوير مواردها المائية لأغراض الري وإنتاج الطاقة الكهرومائية خارج إطار مبادرة حوض النيل، فإنها ستلحق الضرر بأنفسها، وسيطول أمد العيش الكفاف لملايين الفقراء، وسيتفاقم التوتر في الحوض.

في المقابل، هناك نفر يُعارض مبادرة دول حوض النيل، ويدعو إلى الإبقاء على الأوضاع في الحوض كما هي عليه الآن. ويبدو أن هذا النفر -كما يرى المؤلف- ينكر على الدول المشاطئة للنيل في أعاليه الحقّ في الحصول على حصة منصفة ومعقولة من مياه النيل. وغنيّ عن البيان أن هذا الحق لم ينشأ عن مبادرة دول حوض النيل، بل على مبدأ مستقرّ في القانون الدولي العرفي.

وأكد المؤلف أن الحرص على الإبقاء على الأوضاع الراهنة، ورفض النهج التعاوني، سيفضيان إلى إدامة الصراع والتنافس بين الدول المشاطئة للنيل، وحذّر من أن ذلك لن يكون في مصلحة مصر ولا السودان؛ «فقد أثبتت السنوات شحيحة الإيراد في الربع الأخير من القرن الماضي أن السد العالي ليس وحده كافياً لتأمين احتياجات الري في مصر والسودان، وأنه لا بد من إقامة مشروعات للتخزين في دول المنابع لتعويض النقص في مخزون السد العالي، وتنمية مصادر مائية إضافية».



أما مصادر الهضبة الاستوائية، فتشمل بحيرة فكتوريا التي تعدّ من كبرى البحيرات العذبة في العالم؛ إذ تبلغ مساحة سطحها نحو ٦٧٠٠ كيلومتر مربع، موزّعة بين كلّ من: تنزانيا، وأوغندا، وكينيا، ويخرج منها النهر المسمى (نيل فيكتوريا)؛ ليصبّ في الطرف الشمالي لبحيرة ألبرت التي تمتاز من بحيرة فيكتوريا بأنها ضيقة وعميقة وذات سواحل جبلية، وتقلّ فيها نسبة التبخر. وبعد خروجه من بحيرة ألبرت حتى نيمولي عند الحدود السودانية يطلق على النهر اسم نيل ألبرت، وابتداءً من مدينة نيمولي يُعرف باسم بحر الجبل، ويمرّ بمناطق سدود ومستنقعات مما يعرّضه للتسرب والتبخر والنتح، ونتيجةً لذلك لا يزيد متوسط إيراده على ١٤ مليار متر مكعب في السنة، علماً أن متوسط التصرف لبحر الجبل عند مدينة منقلا -أي: قبل دخوله منطقة السدود- يقدر بنحو ٢٨ مليار متر مكعب.

أما المصدر الثالث، فهو حوض بحر الغزال الذي تغذّيه مجموعة من الأنهار الصغيرة التي تنبع من مرتفعات الكونغو وجمهورية إفريقية الوسطى، ويبلغ الإيراد السنوي لكل روافد بحر الغزال نحو ١٤ مليار متر مكعب تضيع كلها في المستنقعات، ولا يصل منها إلى النيل الأبيض إلا ما يزيد قليلاً على نصف مليار متر مكعب. ويلتقي بحر الغزال مع بحر الجبل عند بحيرة نو، ويكونان النيل الأبيض.

ويلتقي النيلان الأزرق والأبيض في مدينة الخرطوم (المقرن)؛ ليكوّنا نهر النيل الذي ينطلق شمالاً نحو مصبّه في البحر الأبيض المتوسط.

> سعت إسرائيل إلى تغذية الشعور المعادي لمصر والسودان في إفريقية، وإيهام المسؤولين الأفارقة بأن حقوقهم في مياه النيل التي تنبع من أراضيهم من دون وجه حق

اتفاقيات حقبة النفوذ الأوربي

استعرض المؤلف المعاهدات والاتفاقيات التي أُبرمت إبّان عهد الاستعمار الأوربي للقارة الإفريقية؛ فابتداءً من عام ١٨٩١م اهتمت بريطانيا -صاحبة النفوذ في وادي النيل- بإبرام اتفاقيات مع دول النفوذ الأوربي الأخرى: إيطاليا، وبلجيكا، وفرنسا، ومع الإمبراطور منليك الثاني (إمبراطور إثيوبيا)، والحكومة المصرية؛ لحماية مياه نهر النيل من أيّ تحويلات قد تحدث في الأحباس العليا للنهر، وأورد في هذا السياق عدداً من الاتفاقيات والبروتوكولات، منها: (بروتوكول ١٥ إبريل ١٨٩١م بين بريطانيا وإيطاليا)، و(معاهدة ١٥ مايو ١٩٠٢م بين بريطانيا وإثيوبيا)، و(اتفاقية ٩ مايو ١٩٠٦م بين الملك إدوارد السابع ملك المملكة المتحدة والملك ليوبولد الثاني ملك بلجيكا)، و(الاتفاق الثلاثي الموقّع في ١٣ ديسمبر ١٩٠٦م بين فرنسا وبريطانيا وإيطاليا بشأن الحفاظ على سلامة إثيوبيا ووحدة أراضيها)، و(المذكرات المتبادلة في ١٤ و٢٠ ديسمبر ١٩٢٥م بين المملكة المتحدة وإيطاليا المتعلقة بامتيازات لإنشاء خزان على بحيرة تانا، وخط حديدي عبر الحبشة من إريتريا إلى الصومال الإيطالي)، و(المذكرات المتبادلة في ٧



مايو ١٩٢٩م بين حكومة المملكة المتحدة والحكومة المصرية بشأن استخدام مياه النيل لأغراض الري)، و(اتفاقية ٢٢ نوفمبر ١٩٣٤م بين المملكة المتحدة وبلجيكا بشأن حقوق المياه على الحدود بين تنجانيقا ورواندا وبوروندي)، و(المذكرات التي تُبودلت في أعوام ١٩٤٩ و١٩٥٠ و١٩٥٣م بشأن إنشاء خزان شلالات أوين بأوغندا وإدارته بين المملكة المتحدة ومصر).

ولعل اتفاقية عام ١٩٢٩م، التي كفلت لمصر حقّ الرقابة على النيل في السودان وفي البلدان الواقعة تحت النفوذ البريطاني،



النيل مصدر رزق وافر لأبناء مصر والسودان



الأساس النظري لقانون المجاري المائية الدولية

تطرّق المؤلف إلى النظريات الأربع التي تُطرح عادةً أساساً لقانون المجاري المائية الدولية الذي يحكم استخدامات المجاري المائية الدولية في الأغراض غير الملاحية. وهذه النظريات هي:

- نظرية السيادة الإقليمية المطلقة:

تذهب هذه النظرية إلى أن للدولة حق التصرف كما تشاء في جزء المجرى المائي الذي يقع في إقليمها، بغضّ النظر عن النتائج الضارّة التي تترتّب من جرّاء ذلك على الدول الأخرى المشاطئة للمجرى. ولم تجد هذه النظرية القبول داخلياً في الولايات المتحدة الأمريكية، ولا دولياً، لكن يُلاحظ أنه ترد من حين إلى آخر في المراسلات الدبلوماسية والمؤتمرات الدولية بعض التصريحات المؤيدة لمبدأ هذه النظرية.

- نظرية الوحدة الإقليمية المطلقة:

تقوم هذه النظرية على أساس أن المجرى المائي يشكّل كله وحدةً إقليميةً، ولكلّ دولة يجري في إقليمها الحق المطلق في أن يظلّ الجريان الطبيعي للمياه في إقليمها على حاله من حيث الكم والكيف. وهكذا لا تسمح النظرية للدولة المشاطئة للمجرى المائي في أعاليه بأن تفعل أيّ شيء يؤثّر في الجريان الطبيعي للمياه نحو الدولة التي تشاطئ المجرى في أسفله. ويرى بعض القانونيين أن هذه النظرية يمكن أن ترتّب آثاراً مدمرة على الدول المشاطئة للمجرى المائي في أعاليه التي لم تطور مواردها المائية بالقدر نفسه الذي حققته دول أسفل المجرى. ويبدو أن اتفاقية مياه النيل عام ١٩٢٩م التي سبقت الإشارة إليها قد أُسِّست على هذه النظرية.

- نظرية السيادة الإقليمية المقيدة:

تعدّ هذه النظرية الأساس النظري المقبول فقهاً وقضاءً وممارسةً للقاعدتين الرئيستين لقانون المجاري المائية الدولية، ونعني بذلك القاعدة التي تقضي بحقّ كلّ دولة في الاستخدام المنصف لمياه المجرى المائي الذي تشاطئه، والقاعدة التي تلزم كلّ دولة مشاطئة ألا يسبّب استخدامها ضرراً للدول الأخرى المشاطئة للمجرى. وتنطلق هاتان القاعدتان من مبدأين أصوليين من مبادئ القانون الدولي العام، هما: المساواة في السيادة، والمبدأ الذي يفرض على الدولة واجبات عند ممارستها سيادتها الإقليمية. وتتميّز هذه النظرية بأنها عملية، وأكثر عدلاً وتوازناً.

- نظرية تضافر المصالح:

هذه النظرية مستوحاة من القانون الروماني، وتقوم في شكلها التقليدي على أساس أن النهر الدولي بحسبانه وحدة طبيعية يعدّ كله ملكاً مشتركاً لجميع الدول التي يجري النهر في أقاليمها.

تعدّ من أهم هذه الاتفاقيات. وقد اشتملت الاتفاقية على قواعد تفصيلية بشأن التخزين والسحب من مياه النيل، ويمكن إجمال بعض ما ترتّب على هذه القواعد فيما يأتي:

- يحفظ لمصر حقّ الانتفاع بجميع مياه النيل وفروعه في المدة من ١٩ يناير إلى ١٥ يوليو (بتاريخ سنار)، باستثناء ما تستهلكه طلمبات الري في السودان.
- يحقّ للسودان رفع منسوب التخزين بخزان سنار؛ حتى يسمح بريّ ترعة الجزيرة خلال ١٠ أيام ابتداءً من ١٦ يوليو، بشرط أن يكون مجموع تصرّف المياه في ملكال والرصيرص قد بلغ ١٦٠ مليون متر مكعب يومياً خلال الأيام الخمسة السابقة لهذا التاريخ، مع مراعاة مدة انتقال من ملكال قدرها ١٠ أيام، ويعرف هذا بالملء الأول.
- يحقّ للسودان ملء خزان سنار في المدة من ١٧ أكتوبر إلى ٣٠ نوفمبر، ويُعرف هذا بالملء الثاني.

كما يبيّن المؤلف موقف دول الحوض المستقلة من تلك الاتفاقيات والمعاهدات، ومدى اتّساق تلك المواقف مع مبادئ القانون الدولي المتعلقة بخلاف الدول في المعاهدات. والملاحظ أن أغلب الدول الإفريقية التي تحرّرت من قبضة الاستعمار الأوربي اعترضت على هذه الاتفاقيات التي أبرمتها الدول الاستعمارية نيابةً عنها عندما كانت تحت سيطرتها، وأوضح المؤلف أن هذه الاعتراضات لا سند لها في القانون الدولي؛ إذ إن هذه الاتفاقيات تعدّ اتفاقيات إقليمية؛ لأنها ترتّب حقوقاً على الإقليم نفسه، فتدمغه بوضع دائم لا يتأثر بالتغييرات التي تطرأ على شخصية الدولة التي تمارس السيادة على الإقليم وحلول دولة محلّ أخرى في السيادة على الإقليم؛ فهذا النوع من الحقوق لا يتأثر بحدوث حالة توارث أو خلافة. وقد دوّنت لجنة القانوني الدولي هذه القاعدة في المادة ١٢ من اتفاقية فيينا لخلافة الدول في المعاهدات عام ١٩٧٨م، التي تنصّ على عدم تأثر النظم الإقليمية بخلافة الدول، وكذلك لا تتأثر بخلافة الدول اتفاقيات الحدود، وقد دوّنت هذه القاعدة في المادة ١١ من اتفاقية فيينا.

الطريق إلى اتفاق عام ١٩٥٩م

أفرد المؤلف فصلاً لبيان وجهات النظر التي طُرحت في المفاوضات التي دارت بين مصر والسودان بشأن مياه النيل في المدة من سبتمبر ١٩٥٤م إلى إبريل ١٩٥٥م. ففي عام ١٩٥٠م استنفد السودان حصته من مياه النيل بموجب اتفاقية عام ١٩٢٩م، وكان السودان يستخدم آنذاك ٤ مليارات من الأمتار المكعبة من المياه، بينما كانت مصر تستخدم ٤٨ ملياراً من الأمتار المكعبة. أما باقي الإيراد الكلي للنهر، وقدره ٣٢ ملياراً، فكان يذهب إلى البحر الأبيض المتوسط؛ لذا دخل السودان في مفاوضات مع مصر بشأن ثلاث مسائل، هي: تعلية خزان سنار متراً واحداً، ومنح مصر تسهيلات لإقامة خزان على الشلال الرابع بالقرب من مروي، والنظر في حاجة السودان الإضافية لمياه النيل. وتم الاتفاق على هذه المسائل في عام ١٩٥٢م، ثم طلبت الحكومة السودانية لاحقاً من الحكومة المصرية الموافقة على بناء خزان الرصيرص؛ لحجز ثلاثة مليارات من الأمتار المكعبة من المياه للاستفادة منها للتوسع الزراعي الذي انتظم السودان، لكن مصر علّقت موافقتها على قيام خزان الرصيرص بقيام السد العالي، ورفض السودان الربط بين المشروعين؛ لأن السد العالي يسع ١٣٠ ملياراً من الأمتار المكعبة من المياه، بينما يسع خزان الرصيرص ثلاثة مليارات

شيمون بيريز ذكر أن لإسرائيل موقفاً أساسياً يحتم عليها ضرورة اقتسام المصادر المائية، وأنها ترى ذلك مسألة سلام أو حرب في المنطقة، وأن منعها من الحصول على حاجتها من مياه المنطقة سيكون من دواعي الحرب

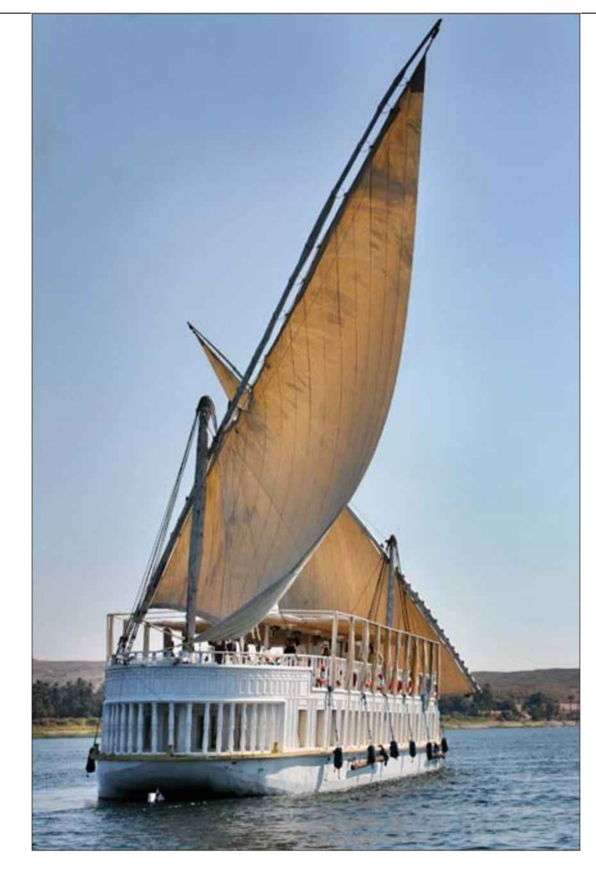


فقط، وطرح السودان ثلاثة شروط للموافقة على بناء السد العالي، هي: أن يحدد نصيب السودان من إيراد النهر الطبيعي محسوباً عند أسوان قبل أن يبدأ العمل في السد العالي، وأن يكون للسودان الحق في إقامة منشآت على النيل لاستغلال نصيبه من المياه؛ كخزان الرصيرص مثلاً، وأن يعوّض سكان وادي حلفا التي ستغمرها مياه السد العالي التعويض الكافي.

وتعرّض المؤلف في هذا الفصل أيضاً للأزمة الحادة التي نشبت بين مصر والسودان عام ١٩٥٨م حول ريّ الامتداد الجديد لمشروع الجزيرة (امتداد المناقل). ففي ٢ يوليو ١٩٥٨م بدأت سلطات الري في السودان بحجز المياه عند خزان سنار لملء القناة الرئيسة لامتداد المناقل، وكان ذلك قبل التاريخ المحدد في اتفاق عام ١٩٢٩م، وهو ١٦ يوليو من كل عام، وأوصلت تلك الأزمة العلاقات النيلية بين البلدين إلى طريق مسدود؛ بسبب إلغاء السودان من طرف واحد اتفاق عام ١٩٢٩م؛ لأن الاتفاق

لعل اتفاقية عام ١٩٢٩م، التي كفلت لمصر حق الرقابة على النيل في السودان وفي البلدان الواقعة تحت النفوذ البريطاني، تعد من أهم هذه الاتفاقيات

النيل يعد من أكثر المجاري المائية الدولية تعقيداً؛ لكثرة الدول المشاطئة له، واختلاف مصالحها وتوجهاتها تبعاً لمواقعها الجغرافية



النيل يقرّب البعيد

كان قد أُبرم بين الحكومتين المصرية والبريطانية جزءاً من تسوية سياسية عامة من دون اهتمام بمصالح السودان، وأشارت الحكومة إلى أنه عند إعلان استقلال السودان طلبت دولتا الحكم الثنائي من حكومة السودان أن تبدي ما إذا كانت راغبةً في إعطاء الأثر الكامل للاتفاقيات والمعاهدات لتنظر فيها، ولأن حكومة الجمهورية العربية المتحدة لم تقدّم اتفاق عام ١٩٢٩م واحداً من تلك الاتفاقيات فينبغي ألا تتوقع أن تعطي حكومة السودان أيّ اهتمام بذلك الاتفاق. وظلّت الحكومة السودانية على هذا الموقف من اتفاق عام ١٩٢٩م حتى وقوع الانقلاب العسكري في ١٧ نوفمبر ١٩٥٨م.

أحكام اتفاقية عام ١٩٥٩م

تضمن الكتاب الرابع أحكام اتفاقية عام ١٩٥٩م بين مصر والسودان (للانتفاع الكامل بمياه النيل). وكانت هذه الاتفاقية قد وقّعتها حكومة الفريق إبراهيم عبود العسكرية التي وصلت إلى السلطة في ١٧ نوفمبر ١٩٥٨م في إطار سياستها المعلنة لإزالة ما وصفته بـ(الجفوة المفتعلة) مع مصر، واعترفت حكومة عبود في ديباجة هذا الاتفاق باستمرار اتفاقية عام ١٩٢٩م، والحقوق المكتسبة بموجبها، متراجعةً بذلك عن الموقف الذي اتخذته الحكومة الديمقراطية التي سبقتها. واشتملت هذه الاتفاقية -بجانب الاعتراف بصحة اتفاق عام ١٩٢٩م- على عدد من البنود، منها: مشروعات ضبط النهر، وهي المشروعات التي تعمل على ضبط مياه النهر، والتحكم في منع انسياب مياهه إلى البحر، ووافق الطرفان على أن تنشئ مصر خزان السد العالي عند أسوان بوصفه أول حلقة من سلسلة مشروعات التخزين المستمر على النيل. ولتمكين السودان من استغلال نصيبه وافق الطرفان كذلك على أن ينشئ السودان خزان الرصيرص وأيّ أعمال أخرى تراها حكومة السودان لازمةً لاستغلال نصيبها. وكذلك اتفق الطرفان على توزيع فوائد النهر بين البلدين، وترحيل سكان وادي حلفا، على أن تدفع مصر مبلغ ١٥ مليوناً من الجنيهات المصرية للحكومة السودانية تعويضاً شاملاً من الأضرار التي تلحق بالممتلكات السودانية الحاضرة نتيجةً للتخزين في السد العالي، وقد تعهّد السودان من جانبه بترحيل سكان وادي حلفا نهائياً قبل يوليو ١٩٦٣م.

أما في بند (مشروعات المياه الضائعة)، فقد اتفق الطرفان على إنشاء مشروعات لزيادة إيرادات النيل؛ لمنع الضائع من مياهه في المستنقعات. وكذلك اتفق الطرفان على إنشاء هيئة فنية دائمة بوصفها مؤسسةً للتعاون بين البلدين. وشمل الاتفاق أيضاً قيام تحالف مائي بين مصر والسودان في مواجهة الدول الأخرى المشاطئة للنيل، خصوصاً أن الاتفاق ثنائي بين دولتين، هما: مصر، والسودان، ولا يلزم سواهما. وينصّ الاتفاق على أنه إذا دعت الحاجة إلى إجراء أيّ بحث في شؤون النيل مع أيّ بلد من البلاد الواقعة على النيل فإن حكومتي مصر والسودان تتفقان على رأي موحّد بشأنه بعد دراسة الهيئة الفنية الدائمة له، ويكون هذا الرأي هو الرأي الذي تجري الهيئة الاتصال بشأنه مع هذه البلاد.

واعترفت الاتفاقية باستحقاق الدول الأخرى المشاطئة للنيل حصصاً من مياهه، على أن تبحث مصر والسودان معاً مطالب الدول الأخرى الواقعة على النيل بنصيب من مياهه، ويتفقان على رأي موحّد بشأن هذه المطالب، وإذا أسفر البحث عن تخصيص أيّ قدر من إيراد النهر لأيّ من هذه الدول فإن هذا القدر يُقتطع مناصفةً من حصة الدولتين. وكذلك شملت الاتفاقية بنوداً أخرى؛ مثل: التعاون المؤسسي، والسلفة المائية، والإيراد السنوي للنيل، واستغلال حصة السودان من المياه بموجب الاتفاق.

اتفاق عام ١٩٥٩م وانفصال الجنوب

وسأل المؤلف عن تأثير انفصال جنوب السودان عن شماله في اتفاقية عام ١٩٥٩م قائلاً: «فإذا قلنا: إن قيام دولة جديدة في جنوب السودان لن يؤثر من حيث المبدأ على الاتفاق على أساس أنه أنشأ نظاماً إقليمياً في سياق المادة ١٢ من اتفاقية فيينا لخلافة الدول في المعاهدات لعام ١٩٧٨م، فهل نعني بذلك كلّ الاتفاق أم فقط أجزاء الاتفاق التي أنشأت حقوقاً والتزامات مرتبطة بالنيل وروافده؟ وهل ستحسب حصة الدولة الجديدة من إيراد النيل بالخصم من حصة السودان أم بالخصم من حصة السودان ومصر معاً بموجب الفقرة (ب) من البند (خامساً) من اتفاق ١٩٥٩م؟ وهل ستتأثر بقيام الدولة الجديدة أحكام الاتفاق المتعلقة بمشروعات استرداد المياه الضائعة التي لم يشرع فيها، والتي بُدئ فيها كمشروع قناة جونقلي؟ وهل ستصبح الدولة الجديدة تلقائياً عضواً في الهيئة الفنية الدائمة أم سيكون لها مطلق الخيار؟».

مطالبة أقاليم شرق إفريقية بحصة من مياه النيل

عرض المؤلف الاجتماعات الفنية غير الرسمية التي عقدتها اللجنة الفنية الدائمة المشتركة لمياه النيل مع ممثّلي حكومات شرق إفريقية في الستينيات. وكان موضع تلك الاجتماعات المذكّرة التي بعثت بها الحكومة البريطانية في ١١ أغسطس ١٩٥٩م (قبيل إبرام اتفاق مياه النيل لعام ١٩٥٩م ببضعة أشهر) إلى حكومات مصر والسودان وإثيوبيا وبلجيكا بشأن حصة أقاليم شرق إفريقية من مياه النيل، وهي: تنجانيقا، وكينيا، وأوغندا. وأكدت المذكرة في صدرها أن أهمية الري في شرق إفريقية أصبحت بيّنة؛ لأن سقوط الأمطار في أجزاء كثيرة من شرق إفريقية محدود، أو متقلب، أو سيئ التوزيع. وأضافت المذكرة أن تزايد

السدود قضية مركزية في مسألة مياه النيل



السكان جعل توفير مشروعات الري في مثل هذه المناطق ضرورة عاجلة. وورد في المذكرة أن حكومات شرق إفريقية ترى أن لها حقاً أصيلاً وثابتاً في حصة من المياه الطبيعية والأساسية للنيل، كما لدول وادي النيل الأخرى حصة تماماً. وشرحت المذكرة المياه الطبيعية والأساسية بأنها الجريان أو الدفق الطبيعي للنهر من دون تأثير لأعمال ضبط النهر. وعدّت حكومات شرق إفريقية كذلك أن لها حقاً في حصة من فوائد المياه الجديدة التي يتم توفيرها باستخدام المقومات الطبيعية لشرق إفريقية لأغراض التخزين، وعنت بالمياه الجديدة المياه التي يتم الحفاظ عليها، وتصبح متاحةً بتنفيذ مشروع النيل الاستوائي، أو أعمال ضبط أخرى تنفذ في شرق إفريقية لمصلحة مصر والسودان. ورأت حكومات شرق إفريقية أيضاً أن لها حقاً مطلقاً في مياه إضافية، وفسّرت المياه الإضافية بأنها المياه التي يتم توفيرها بأعمال تُنفّذ في أقاليمها على نفقتها للحفاظ على المياه أو للتزوّد بها، التي بسبب التبخر أو النتح ما كانت لتصل إلى النيل. واشتملت المذكّرة على تقديرات للحد الأدنى لاحتياجات حكومات شرق إفريقية المائية للخمسة والعشرين عاماً المقبلة، كما احتفظت لنفسها بحقّ مراجعة احتياجاتها المائية مع حكومات حوض النيل الأخرى كلّ خمسة أعوام.

وأبدت الهيئة الفنية المشتركة لمياه النيل بعض الملاحظات على المذكرة البريطانية في اجتماعها الفني غير الرسمي الذي عقدته في الخرطوم مع ممثّلي حكومات شرق إفريقية في المدة من ١٦ إلى ١٩ أكتوبر عام ١٩٦١م، وأوجزت الهيئة ملاحظاتها في الآتي: ليس لحكومات شرق إفريقية حق في حصة المياه الأساسية، أو في ما سمّته المياه الجديدة، ويمكنها أن تطالب فقط بحق في المياه التي تضيع ولا تصل إلى النهر أو البحيرات، لكن أيّ مشروعات ريّ من هذه المياه ينبغي أن تُنفّذ بالاتفاق مع حكومتي مصر والسودان؛ للتأكد من أنها لن تخفض بأيّ طريقة الدفق الطبيعي للنهر.

وإزاء هذا الموقف أنكر ممثّلو شرق إفريقية حقّ دول أسفل النهر في كلّ الإيراد المائي، سواء أكان ذلك على أساس الاستخدام الجاري أو الالتزام، وأكدوا أن حقّ شرق إفريقية في هذه المياه حُفظ قبل إبرام اتفاق عام ١٩٥٩م بين مصر والسودان، ونبّهوا على أن شرق إفريقية ليست طرفاً في اتفاق عام ١٩٥٩م، ولم يُؤخذ رأيها فيه، وخلصوا إلى أن تحفظات شرق إفريقية ستظلّ قائمةً حتى الاتفاق على حصتها العاجلة والنهائية. وفي ختام الاجتماع تبنّى الطرفان نتائج غير رسمية وغير ملزمة.

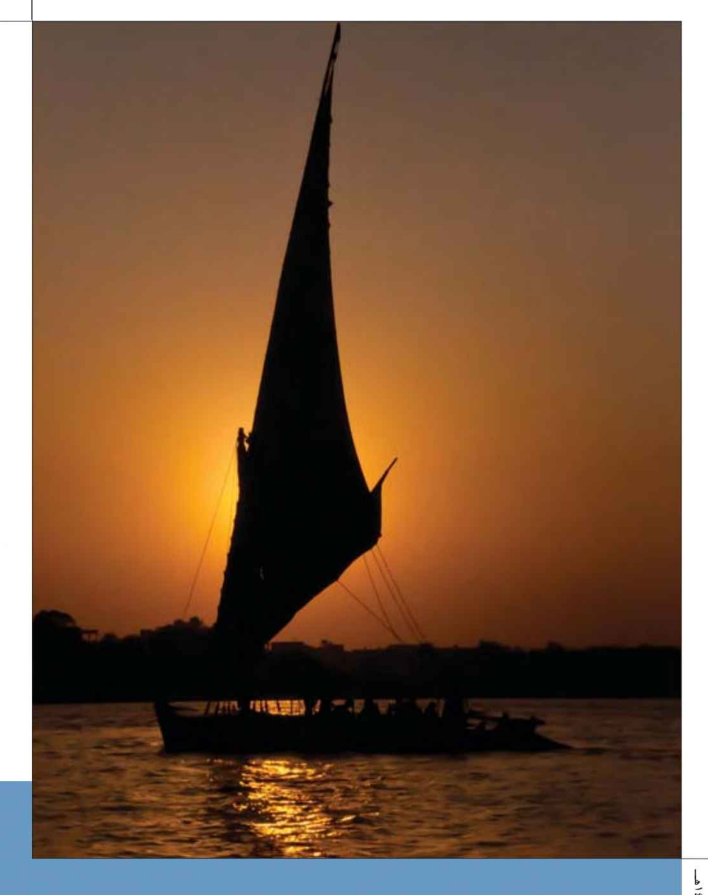
اتفاقية ١٩٥٩م اعترفت باستحقاق الدول الأخرى المشاطئة للنيل حصصاً من مياهه، على أن تبحث مصر والسودان معاً مطالب الدول الأخرى الواقعة على النيل بنصيب من مياهه

اتفاقية قانون استخدام المجاري المائية الدولية في الأغراض غير الملاحية لعام ١٩٩٧م

خصص المؤلف فصلاً لعرض تاريخ (اتفاقية قانون استخدام المجاري المائية الدولية في الأغراض غير الملاحية لعام ١٩٩٧م)، وتوضيح صفتها الإطارية، وتعريفها المجرى المائي، وأثرها في اتفاقيات المجاري المائية القائمة. كما نظر في أحكام حماية النظم الإيكولوجية، وأحكام تسوية المنازعات التي نصّت عليها الاتفاقية. وتخلّت هذه الاتفاقية عن مصطلح (النهر الدولي)، واستخدمت بدلاً منه مصطلح (المجرى المائي الدولي)، وأعطته تعريفاً أوسع نطاقاً من التعريف

التقليدي للنهر الدولي؛ فقد درج القانون الدولي على التفريق بين نوعين من الأنهار، هما: النهر الوطني، والنهر الدولي؛ فالنهر الوطني هو الذي يقع كله داخل إقليم دولة واحدة، أما النهر الدولي فهو الذي يفصل بين إقليم دولتين، أو تقع أجزاؤه في أقاليم أكثر من دولة؛ أي: النهر المتتابع.

وإدراكاً لأهمية الاستخدامات غير الملاحية للأنهار في كثير من أنحاء العالم، وشحّ الموارد المائية في كثير من الدول النامية؛ دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى دراسة قانون الاستخدامات غير الملاحية للأنهار الدولية بغرض تدوينه وتطويره، وتبنّت الجمعية العامة مشروع الاتفاقية في الجلسة العامة في ٢١ مايو عام ١٩٩٧م، فصوّت لمصلحة المشروع ١٢٣ دولة، وصوّتت ضده ثلاث دول، وامتنعت عن التصويت ٢٧ دولة.



نظام قانوني ومؤسسي

من أبرز القضايا التي عالجها الكتاب، والآراء والنتائج المستخلصة، أنه لا يوجد حتى الآن نظام قانوني ومؤسسي شامل لنهر النيل؛ فقد أبرمت في عهد الاستعمار الأوربي اتفاقيات ومعاهدات، وتبودلت مذكرات لحماية مياه النيل من أيّ تحويلات قد تتم في أعالي النهر، لكن أغلب الدول المشاطئة للنيل في أعاليه ترفض هذه الاتفاقيات، ولا تعترف بها، بحجج وذرائع لا سند لها في القانون الدولي. فبموجب المادة ١٢ من اتفاقية فيينا لخلافة الدول في المعاهدات لعام ١٩٧٨م فإن خلافة الدول أو حلول دولة مكان أخرى لا يؤثر في النظم الإقليمية، أو بمعنى آخر: الحقوق والالتزامات المرتبطة بالإقليم.

وألحق المؤلف بالكتاب مجموعةً من الملاحق، بعضها يكشف عنه النقاب أول مرة؛ فقد ورد في الملحق رقم(١) المذكرات التي تُبودلت في ١٨ مارس عام ١٩٠٢م بين المعتمد البريطاني في أديس أبابا ومستشار الإمبراطور منليك الثاني، واشتملت هذه المذكرات على تعهّد من الإمبراطور بأنه لن يكون هناك تدخل في مياه النيل الأزرق وبحيرة تانا إلا بعد التشاور مع الحكومة البريطانية وحكومة السودان، وأنه ليس في نيّته إعطاء أيّ امتياز فيما يتعلق بالنيل الأزرق وبحيرة تانا إلا للحكومة البريطانية وحكومة السودان أو أحد رعاياهما. وقد ضمن هذا التعهد لاحقاً في المادة الثالثة من معاهدة ١٥ مايو عام ١٩٠٢م بين بريطانيا وإثيوبيا. ويرى المؤلف أن مذكرات ١٨ مارس عام ١٩٠٢م ستكون حاسمةً في فضّ الاختلاف بين النصّ الإنجليزي والنصّ الأمهري للمادة الثالثة من معاهدة ١٥ مايو ١٩٠٢م.

وأورد أيضاً في الملحق رقم(٦) المذكرة البريطانية بتاريخ ١١ أغسطس ١٩٥٩م بشأن مطالبة أقاليم شرق إفريقية بحصة من مياه النيل، وفي الملحق رقم(٧) أورد ملاحظات الهيئة الفنية الدائمة المشتركة لمياه النيل المتشددة على تلك المطالبة. ودعم المؤلف كتابه بعدد من الخرائط التي تدعم البحث، وأورد قائمةً بالمراجع التي اعتمد عليها، كما أشار إلى أن الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن وجهة نظره، ولا تحمل بالضرورة وجهة نظر أيّ جهة ارتبط بها.

واتخذت الدول المشاطئة لنهر النيل مواقف متباينة إزاء مشروع الاتفاقية؛ فعلى الرغم من تصويت هذا العدد الكبير من الدول لمصلحة تبنّي مشروع الاتفاقية إلا أنه لم يوقع عليها (حتى وقت إعداد هذا الكتاب عام ٢٠٠٥م) سوى ١٦ دولة، وصدّقت عليها ١٢ دولة. لذا، فإن هذه الاتفاقية -حتى إذا بدأ تنفيذها- لا تعدو أن تكون اتفاقيةً إطاريةً؛ بمعنى أنه يجوز للدول الأطراف أن تسترشد بها عند التفاوض لإبرام اتفاقيات بشأن مجاري مائية معينة؛ فأحكامها ليست قواعد آمرة. كما أن هذه الاتفاقية لا تؤثر في حقوق دول ناشئة عن اتفاقيات مجاري مائية قائمة.

وكذلك نصّت الاتفاقية على إلزام دول المجرى المائي منفردةً أو مشتركةً مع غيرها عند الاقتضاء حماية المجرى المائي ومكافحة تلوّثه؛ حتى لا يسبّب ضرراً ذا شأن لدولة أخرى من دول المجرى أو لبيئتها. كما نصّت بعض مواد الاتفاقية على نظام لتسوية المنازعات.

عرض بعض المبادئ العامة الـواردة في الاتفاقية

عرض المؤلف (المبادئ العامة المنصوص عليها في الاتفاقية)، وهي: مبدأ الانتفاع المنصف والمعقول الذي يعدّ المبدأ الأساسي لاتفاقية الأمم المتحدة بشأن قانون استخدام المجاري المائية الدولية في الأغراض غير الملاحية، والتزام عدم التسبب في ضرر ذي شأن، والتزام الإخطار المسبق بشأن التدابير المزمع اتخاذها على مجرى مائي دولي، إضافةً إلى التزام التعاون؛ لأن الإدارة التعاونية تعظم فرص تحقيق الانتفاع الأمثل بالمجرى، وتوفر الحماية لبيئته، كما تحسن الآفاق العامة للسلام والتنمية في دول المجرى، وتيسّر جذب التمويل الدولي، وأحدث التقنيات إلى المجرى.

دول حوض النيل تتجه نحو التعاون

تتبّع المؤلف للمراحل التي مرّت بها مسيرة التعاون بين الدول المشاطئة للنيل، وقد تضافرت عدة عوامل أدّت إلى تأخّر قيام التعاون بينها، لعل أبرزها الحروب الأهلية، والتوتر الذي شاب علاقات بعضها الثنائية، والتشكك في صدق الدعوات التعاونية الباكرة. وتشمل هذه المراحل: مشروع الأبحاث الهايدرومترولوجية بحوض البحيرات الاستوائية، ولجنة التعاون الفني لترقية التنمية والحماية البيئية لحوض النيل، ومؤتمرات النيل عام ٢٠٠٢م التي عُقدت في إطارها، وساعدت -إلى حدٍّ ما- على تنقية الأجواء والبناء التدريجي للثقة بين دول الحوض، وتعرّف آرائها بشأن القضايا المتصلة بتنمية الموارد المائية لحوض النيل لمنفعة الجميع. وتمثّل مبادرة حوض النيل التي أطلقت في دار السلام بتنزانيا في فبراير/ شباط عام ١٩٩٩م أول محاولة جادة لحلّ معادلة حوض النيل عن طريق الحوار، ويعود نجاح هذه المبادرة إلى كونها استقطبت للمرة الأولى كلّ دول الحوض، كما أنها حصلت على دعم من البنك الدولي، وقد اتفقت دول المبادرة على متابعتها بمقتضى ترتيب انتقالي حتى يتم إيجاد إطار قانوني دائم.

هل يكون الحوار وسيلة التعامل بين دول حوض النيل؟





خالد عبدالعال
الرياض – السعودية

بعدي..
ستدركين صغيرتي

اليومَ جاءَ معادُها
اليومَ حانَ فراقُها
اليومَ تبعُدُ بعدَما
كانَ الدنوَّ رفيقُها
اليومَ تقطعُ وصلَها
اليومَ ترمي نصلَها
يا ويلْها.. بل ويلتي!
حفظَ الإلهُ صنيعَها!

***

قالتْ مقالَ الطعنِ في أحشائِهِ
قالتْ مقالَ القتلِ في خلجاتِهِ
أُفٍّ له.. كم كان أبًا بائساً!
أُفٍّ له.. كم كان همّاً جاثماً!

***

كان الوداعُ مؤرِّقاً
كان الودادُ مُغيبّاً
اليومَ نبدأُ بُعدَها
اليومَ نفقدُ ظلَّها

***

بعدي.. ستدركينَ صغيرتي
ألاّ حياةَ ولا حبيباً آخرا
بعدي.. ستدركينَ حبيبتي
فقدَ الذي أزالَ عنكِ الأدمعا
بعدي.. ستدركينَ صغيرتي
كم كان حبّاً ساطعاً
حبَّ الذي ملكَ الحياةَ
وقادَها بينَ يديكِ طائعاً
حباً تطاولَ للسماءِ
فكان صرحاً للبراءةِ
والنقا..
حباً تطهرُهُ العيونُ الجارياتُ
عبادةً..
حباً نزيهاً لم تَلُكْهُ مآربٌ
شتىّ.. ولم تمضِ معَهْ



حبّاً تقاربُه النجومُ
الساطعاتُ..
تحوطُهُ عقداً يفرُّ منهُ
النيزكُ..

***

لا حبَّ يشبهُ حبَّنا
لا ودَّ يعلو ودَّنا
إلا المحبَّ لربِّنا

***

بعدي.. ستدركينَ صغيرتي
أنَّ الحياةَ بلا حياةْ
أنَّ الحياةَ كبيرةٌ
أنَّ الحياةَ صغيرةٌ
أنَّ الحياةَ بلا معانْ

بعدي.. ستدركينَ صغيرتي
كم كانَ ليلي والنهارْ
كم كانَ شوقي والسُّهادْ
كم كان حبي طاهراً
كم كان حبي خالياً
من كلِّ عارْ..!!

أتمنى أن تتحول العلاقات بين تركيا والعالم العربي إلى اتحاد؛ فالعلاقات بين الشعوب هي الأبقى

ياسين أقطاي



الباحث التركي د. ياسين أقطاي:
التاريخ وسيلتنا لقراءة الثورات العربية

حوار: عبدالله الكويليت

التقيت الأستاذ الدكتور ياسين أقطاي -مدير معهد الفكر الإستراتيجي في أنقرة- على هامش زيارته مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية لإلقاء محاضرة عن العلاقات التركية العربية من منظور الإعلام التركي. ويعدّ د. أقطاي على صغر سنه (من مواليد ١٩٦٦م) أحد الخبراء الإستراتيجيين البارزين في تركيا والمقرّبين من حكومة السيد رجب طيب أردوغان. ويتوقع القريبون من دوائر الحكم مستقبلاً بارزاً له؛ فهو يعمل أستاذاً جامعياً، وصحفياً نشيطاً أيضاً؛ فقد أصدر عام ١٩٩١م مع عدد من أصدقائه مجلة (التذكرة)، كما أصدر عام ٢٠٠٢م مجلة أخرى، هي مجلة (المجتمع المدني)، ويُعرض له برنامج على القناة التركية الناطقة باللغة العربية بعنوان: (التراث والحداثة)، وله عدد من المقالات نُشرت داخل تركيا وخارجها، كما صدر له عدد من الكتب والدراسات، منها: كان الكلام أولاً.. دراسات عن التأويلية (١٩٩٥م)، وما بعد الحداثة والإسلام: العولمة والاستشراق (١٩٩٦م)، وخطابات السياسة والفلسفة والتاريخ (مترجم عن العربية)، والفكر السياسي في تركيا الحديثة (٢٠٠٤م)، وتفكيك التاريخ: اجتماعية التاريخ والوعي التاريخي (٢٠١٠م).

*** إلى أين تتجه العلاقات السعودية التركية في ظلّ الظروف المحيطة عربياً وعالمياً؟**

لا بد أن ننظر إلى كلّ ما يحصل في العالم الآن من خلال وجهة نظر عامة؛ فالعالم تغيّرت فيه موازين القوى بشكل كبير، حتى عن الحقبة التي تلت الحرب الباردة؛ فالولايات المتحدة الأمريكية التي كان يُنظر إليها بوصفها القوة الوحيدة لم تعُدْ كذلك الآن؛ فهي لا تستطيع أن تسيطر، ولا أن تملأ الفراغ، وقد برزت قوى بديلة؛ مثل: الصين،

جانب من محاضرة د. أقطاي بمركز الملك فيصل





د. أقطاي يجيب عن أسئلة «الفيصل»

دعم التصنيع المحلي يعتمد على التعليم؛ فالتعليم والثقافة والإخلاص والنزاهة إذا اجتمعت تقضي على الفساد والسرقات والاختلاسات، ويبرز النمو في كلّ الأمكنة

وماليزيا، والهند، والبرازيل، وهي تتحدى قوة أمريكا، خصوصاً أن الولايات المتحدة قرّرت بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م أن تسيطر على العالم، ولم يعترض الآخرون حياءً، لكن ما حدث من احتلال أفغانستان والعراق، والتسبّب بمقتل كثير من المسلمين، أدّيا إلى ارتفاع أصوات الاحتجاج على الهيمنة الأمريكية، بل أصبح هناك تفكير في النظام العالمي المتمثّل في الأمم المتحدة، الذي يعطي دولاً خمساً حقّ الفيتو، بينما الدول الأخرى لا حقّ لها؛ إذ لا عدل في هذا النظام. وفي هذا الإطار يمكن القول: إن تركيا كانت في عام ٢٠٠١م في حالة ضعف شديد، وكان الجيش يسيطر على كل الأمور، لكن مع مجيء رجب طيب أردوغان وحزبه إلى السلطة بدأت تركيا بالتغيّر؛ لأن الجيش عندما يسيطر على كلّ الأمور في أيّ بلد فإنها تضعف؛ لأن الجيش لا يفهم في أمور السياسة والاقتصاد، ولا في المتغيرات الاجتماعية، وهمّه السيطرة عن طريق القوة. هذا التغير يأتي في سياق تغيّر العالم في ظلّ هذا الفضاء المفتوح الذي أتاحه الإعلام البديل، الذي جعل الأجيال الصاعدة تأخذ زمام المبادرة، وتأتي إلى مراكز القرار، وتجد الفرصة في مجالات الحياة المختلفة؛ مما يخلق مجتمعاً ديمقراطياً لا يمكن فيه تجاهل أيّ رأي. لذلك لا بد للحكومات أن تسمع الأصوات والأفكار الجديدة التي تجيء من كل صوب؛ فهيكل المجتمعات تبدّل وتغيّر، وهذا ما نراه الآن في الربيع العربي، الذي تؤدي فيه الأجيال الجديدة دوراً كبيراً في إحداث التغيير، كما هو واقع حالياً في مصر وتونس وغيرهما، وهذا التغيّر حدث من قبل في تركيا.

*** ما القوة الدافعة في تركيا التي أوجدت هذا التغيير؟**

القوة الدافعة هي أن الشعب تغيّر، وقد حدث ذلك على مدى زمني طويل؛ أي أن التغير الاجتماعي هو الدافع الرئيس؛ فمنذ أكثر من ٦٠ عاماً زحف كثيرون من الريف إلى المركز؛ مما أحدث التمدّن الذي يدفع إلى التغيير، وتشابك هؤلاء مع الواقع السياسي، والمشاركة الإيجابية من خلال الانتخابات. ثم إن

التعليم العالي، وزيادة فرصه، أتاحا لكثيرين الدخول في معترك الحياة بقوة؛ أملاً في تحوّل حياتهم إلى الأفضل. وبدأ هذا التوسّع في التعليم الجامعي منذ الثمانينيات؛ إذ كان عدد الجامعات ١٧ جامعة فقط، وتأسّست ٣٥ جامعة جديدة في عهد الرئيس تورغوت أوزال، ولم يكن في إمكان الحرس القديم الاعتراض على ذلك؛ لأن مشروعية هذه السياسة مُستقاة من أسس الدولة التركية التي وضعها الزعيم أتاتورك؛ فهي جزء من التوجّه إلى تنوير المجتمع. وقفز عدد الجامعات في السنوات العشر الأخيرة من ٨٥ جامعة إلى ١٦٥ جامعة، وهذه الطفرة في التعليم العالي من القوة الدافعة لتركيا الجديدة. أما القوة الدافعة الثالثة، فتتمثّل في نمو الاستثمار في الأطراف، لا في المركز؛ فقد كانت الدولة تختار المستثمرين وتمنحهم التسهيلات، لكن توجّه أوزال إلى البنك الإسلامي لدعم المستثمرين الصغار، حتى كبروا وشكّلوا طبقةً جديدةً، لها مطالب كثيرة، لا يمكن أن تتجاهلها الدولة. وعندما حاول العسكر سحق هذه الطبقة قبل أردوغان لم ينجحوا، وهم بدورهم اتّجهوا إلى الحزب الذي يعبّر عنهم، ويمنحهم الفرصة.

*** هل خدمت العولمة مشروع حزب العدالة والتنمية؟**

عندما بدأ مفهوم العولمة بالتبلور وجدت العولمة كثيراً من الاعتراضات في كل أنحاء العالم، خصوصاً العالم الثالث، ومن هؤلاء المعترضين الإسلاميون، ولعلّ ذلك كان بسبب عدم إدراك أبعاد العولمة، التي تعني أنه لا وجود لقوة مركزية تسيطر على العالم؛ فالمعارضون الإسلاميون لم يدركوا طبيعة العولمة الحقيقية، وأن العالم لم يعُدْ يُدار من مركز واحد، أو من قطب واحد، وهنا تكمن إيجابية العولمة؛ فهي تطور طبيعي بمنأى عن الإدارة المركزية المسيطرة المعتمدة على القطب الواحد. وحينما نتحدث عن القطب الواحد فإننا بالضرورة نتحدث عن أمريكا وحلفائها، لكن العولمة في الحقيقة أتاحت الفرصة لجميع الناس من مختلف الطبقات للتدخل والمشاركة، وكان الإسلاميون لا يعون ذلك في بداية الأمر، لكنهم أدركوا الآن أن العولمة نفعت المسلمين والعالم الإسلامي أكثر من نفعها الغرب؛ لأن الأجيال الشابة في العالم الإسلامي تعدّ الأكثر جاهزيةً وحاجةً لقبول العولمة؛ لأنها الوحيدة التي تتيح لهم إمكانية المشاركة. بينما الغربيون، الذي تشبعوا من هذا النظام، لم يتغير شيء بالنسبة إليهم، ولم تتأثر حياتهم. لكن بالنسبة إلى المسلمين، ودول العالم الثالث عامةً، بما تحويه من طبقات عليا، ووسطى، ودنيا، ومهمشة، فإن العولمة تتيح لهم هذه الفرصة في التطور. وتركيا أيضاً عاشت فيها أجيال مهمشة، وأنا أشبه هذه الحالة بالحالة التي ذكرها ابن خلدون عندما قال: «إن البدو حينما يأتون إلى الحاضرة يسيطرون على الحضر؛ فالبدو أكثر تعصباً وتمسكاً بالقيم والجذور، وأشد حميةً لبعضهم البعض». لذلك تعدّ العولمة أحد أبرز دوافع التطور والتقدم والنمو.

*** هل توافق القائلين: إننا الآن في الشتاء العربي، ولسنا في الربيع؟ وهل هناك تماثل بين ما يحدث في مصر وما حدث في تركيا منذ سنوات قليلة؟**

الربيع هو رمز لما تتطلع إليه الأمة من تغيير بعد سنوات من الاستبداد والظلم الذي عاشته بعض البلدان على يد قادتها من دون الالتفات إلى مطالب الشعب، بينما العالم يتغيّر. وهذا الاستبداد الذي عاشته الأمة لا يناسبها، ولا تستحقه، ولا ينسجم مع ثقلها الحضاري. وفي المؤتمر العربي التركي لعلوم الاجتماع، الذي عقد في أنقرة قبل أحداث مصر وتونس، توقعت أوراق العمل بما حدث في هاتين الدولتين، وكان المشاركون من الدول العربية، خصوصاً مصر، يتكلمون عن الشفافية ومحاربة الفساد والتداول السلمي للسلطة وحقوق الإنسان، وكانوا يرون تركيا نموذجاً ينبغي أن تحتذي به الدول العربية، وكان الحديث عن أهمية التغيير. لكن ما لم يكن متوقعاً هو أن يحدث ما حدث بهذه السرعة، وبهذا الشكل الذي فاجأ الجميع، بل إن الولايات المتحدة وإسرائيل لم تتوقعا هذا التحول الكبير في العالم العربي.

التبادل الثقافي والاجتماعي بين الفئة الشبابية، والتبادل الثقافي بين النخب والمفكرين، مهمان جداً لتعزيز العلاقة بين المملكة وتركيا

تركيا حاضرة بقوة في المشهد السياسي



أردوغان

*** ماذا بعد هذا الربيع؟**

حين أنظر إلى التاريخ من زاوية بعيدة، وحينما نستذكر ما وقع في الثورة الفرنسية، والثورة الروسية، وغيرهما، ندرك أنها بالفعل ثورات للتغيير. لكن الأمر قد يبدو مزعجاً عندما تعيش في داخل الثورة؛ فعلى سبيل المثال: عندما تعيش في الغابة فإنك لا ترى مشهدها الكامل. ولأننا لا نستطيع معرفة المشهد الكامل للثورات علينا اللجوء إلى التاريخ، وإعادة قراءته. لذا من نظرة اجتماعية وتاريخية أقول: إن هذه الثورات إيجابية على الرغم مما قد يقع خلالها من أشياء سلبية؛ لأنه لا يمكن الاستمرار على ما كنا عليه في السابق.

*** هل تتوقع نجاح الثورات العربية، خصوصاً في مصر؟**

ما يقع في مصر الآن يشبه ما وقع في تركيا قبل سنوات من ناحية تأثير العسكر، لكن الناحية الإيجابية أن أمام مصر فرصةً لبداية جديدة، بينما فتحت تركيا طريقها من قبل تدريجياً بنفسها باستخدام علاقتها مع أوربا في تأسيس الديمقراطية، وكان هذا خيار الحكومة، وكان يمكنها الاستمرار على الوضع القديم من دون أن يسألها أحد، لكن الحكومة اختارت أن تمشي في هذا الطريق، وأن تؤدي دورها في تغيير خطّ تركيا نحو النمو والتنمية. وفي مصر العسكر يريدون السيطرة، ويريدون أن يحموا الثورة، و أن يمشوا على الطريق، وسمعنا أن العسكر في مصر يريدون أن يترجموا دستور تركيا ليكون دستوراً لمصر؛ فدستور تركيا صدر عن الجيش عندما قام بالانقلاب عام ١٩٨٢م، ونحن زُرْنا مصر، ونصحناهم بألا يستعجلوا، وأن ينتظروا؛ لأننا سنغيّر هذا الدستور؛ لأنه لا ينفع لأيّ شعب؛ لأنه سيّئ، وليس نموذجاً لأيّ بلد إسلامي، وقلنا

الولايات المتحدة الأمريكية التي كان ينظر إليها بوصفها القوة الوحيدة لم تعد كذلك الآن؛ فهي لا تستطيع أن تسيطر، ولا أن تملأ الفراغ

العددان ٤٢٩-٤٣٠ / الربيعان ١٤٣٢هـ

لهم: انتظروا الدستور الجديد الذي نعمل عليه، وسنغيّره، وعليكم ترجمة الدستور الجديد؛ فهو أفضل لكم.

*** ماذا عما يحدث في سورية؟**

المشهد السوري صعب؛ فالنظام قويّ، وأسّس نفسه عسكرياً بشكل جيد، ويحكم بقوة حديدية، ويعتمد على طائفة من الشعب، وقد أنتج له طبقةً وسطى قويةً في دمشق وحلب، وهي مدعومة من الحكومة، وتدين له بالولاء؛ لذلك انقسمت سورية بين المعارضين للحكومة والمؤيدين لها، وهناك من يتوقع حدوث حرب أهلية لا نتمناها لسورية، لكن ما يقوم به بشار الأسد غير مقبول، وقد يدفع الأمور إلى هذا الشيء السيّئ. وما يقع في سورية يؤثر في تركيا؛ فالقواسم المشتركة بينهما كثيرة، وهناك عائلات متصاهرة، والناس يهاجرون ويلجؤون إلى تركيا، وهي مضطرة إلى قبولهم. وهناك من يرى أن سورية قد تلجأ إلى استخدام ورقة الأكراد، لكنني واثق أن الأكراد ليسوا سذجاً؛ فهم عانوا التجاهل السوري، ولا يرضون أن يكونوا مجرد ورقة ضغط على تركيا.

*** هل تتوقع احتمال التدخل العسكري؟**

هناك توقعات كثيرة في هذا الشأن، وتركيا لا تريد أن تتدخل وحدها فقط، لكن إذا فتحت أبواب المشاركة مع الجامعة العربية في هذا الصدد، أو حتى مع الأمم المتحدة، فإنه من الممكن أن تتدخل تركيا في هذا الشأن في النهاية. لكن قبل هذا التدخل تريد تركيا أن تفعل ما في وسعها لدعم المعارضة في سورية من دون التدخل المباشر؛ كإعطائها الفرصة لفتح المكاتب وعقد الاجتماعات في تركيا، وبالفعل فقد اجتمعت قوى المعارضة عدة مرات في إنطاكيا وإسطنبول.

> **زرنا مصر، ونصحنا المصريين بألاّ يستعجلوا ويترجموا الدستور التركي؛ لأنه لا ينفع لأي شعب؛ فهو سيئ، وليس نموذجاً لأي بلد إسلامي**

*** الآن بالنسبة إلى الجانب السياسي للدولتين الفاعلتين في المنطقة (إسرائيل وإيران)، ما رؤية تركيا لهما؟**

أولاً، أريد أن أطرح شيئاً عن عضوية تركيا في الناتو؛ فمنذ مدة كانت تركيا بحاجة إلى الناتو، وكانت عضويتها ضعيفة، لكن الآن أصبحت عضويتها قوية، وتريد أن تتدخل في كل القرارات؛ فهي تعي أنها لا بد أن تكون قويةً وفاعلةً في هذا الحلف، ولتحقيق ذلك قامت بأداء أدوار فاعلة، واتخاذ قرارات مؤثرة من داخل الحلف. والناتو يعي أن تركيا لن تكون موافقتها تحصيل حاصل؛ فعند طرح موضوع ضرب إيران وقفت تركيا إلى جانب إيران ضد الناتو، حتى ضد الولايات المتحدة حينما أرادت أن تتخذ بعض الإجراءات والتدابير ضد إيران، وأرادت تركيا بدفاعها هذا أن تقوم بموازنة بين واجباتها في الحلف وعلاقاتها بجيرانها؛ فهي تريد أن تكون عادلة، وتريد أن تدعم ثقافة الحوار والتفاهم بين إيران والغرب، لكن لكلٍّ من الولايات المتحدة وإيران وإسرائيل أجندة خفية، وتركيا تريد أن تفهم طبيعة هذه الأجندة.

*** أُعلنت عقوبات اقتصادية دولية إضافية جديدة على إيران، كيف تقرؤون المشهد الإيراني في ظلّ هذه التحولات؟**

المجتمع الإيراني يشبه المجتمع المصري إلى حدّ كبير؛ فالمعارضة قوية، والسلطة أيضاً قوية؛ أي أن هناك قوتين تتنافسان على الحكم، لكن الملالي هم القوة الأكثر متانةً؛ لوجودهم في السلطة؛ فالملالي في إيران هم الذين يسيطرون على الحكم بشكل غير ديمقراطي، وأعتقد أن باب التوقعات مفتوح لما سيحصل في إيران من تغييرات. أما فيما يخصّ البرنامج النووي الإيراني، فإن هذا البرنامج هو ملك للمجتمع الإيراني كله، ولا يحق لأحمدي نجاد أو السلطة السياسية في إيران أن تتراجع عنه، وتركيا ترى أنه حقّ مكفول لكلّ الدول أن تمتلك برنامجاً نووياً سلمياً. وعلى الجانب الآخر، فإن إسرائيل تمتلك برنامجاً نووياً غير سلمي، ولديها ترسانة من الأسلحة النووية، لكن المجتمع الدولي يتغاضى عن هذا الشيء؛ فهذه الازدواجية في المعايير غير مقبولة. تركيا لا تريد عقوبات اقتصادية ضد إيران؛ لأنها في النهاية ستضرّ تركيا اقتصادياً، وتركيا أيضاً تسعى إلى عمل برنامج نووي سلمي، ولن تقبل أيّ عقوبات أو مضايقات من المجتمع الدولي.

تعاطف تركي مع الفلسطينيين

في سبيل تطوير العلاقات بين السعودية وتركيا لا بد أن تكون هناك مبادرات تعليمية بين الجهتين، وعلى الجانب الرياضي لا بد للأندية والمنتخبات السعودية أن تلعب مع الأندية والمنتخبات التركية

*** هل هناك ضغوط دولية منعت انطلاق أسطول المساعدات التركية لغزة أو أجلته؟**

إن ما وقع فيه خير لتركيا إن شاء الله؛ فالعلاقات مع إسرائيل كانت حملاً ثقيلاً يضني كاهل تركيا؛ فالعلاقة مع إسرائيل ليس فيها أدنى مصلحة لتركيا؛ فتركيا لا تحتاج إلى إسرائيل، بل إسرائيل هي التي تحتاج إلى تركيا، لكن الإعلام يعطي الانطباع كأن تركيا هي التي تحتاج إلى إسرائيل، وليس العكس، وحتى الأسلحة التي تشتريها تركيا من إسرائيل يمكن إيجاد بديل أقوى وأرخص ثمناً لها؛ فتركيا تشتري من إسرائيل بعض الطائرات من دون طيار، وعند توتّر العلاقات بين البلدين هدّدت إسرائيل بوقف ذلك، فبدأت تركيا بإنتاج هذه الطائرات محلياً، وهذه إحدى فوائد قطع العلاقات مع إسرائيل، وفي كل الأحوال ستجد تركيا البديل لهذه الأسلحة والمعدات إن شاء الله. وفي الجانب الآخر، إسرائيل أمر واقع لا يمكن تجاهله، طبعاً لابد أن نجبرها على احترام التوازن الثقافي والدولي في





وفاء الفلسطينيين لضحايا أسطول الحرية

المنطقة؛ فلو تعاملت واحترمت إسرائيل هذا التوازن يمكن أن تجد نفسها في المنطقة، وتركيا ستبني علاقاتها مع إسرائيل من جديد، لكن بشروط، هي أن تعيش في سلام مع الجميع، وعندها ستبقى إسرائيل في سلام. والآن لو أرادت إسرائيل أن تجدد العلاقات لابد أن نفتح صفحة جديدة، ونعيد كلّ الملفات القديمة، ومنها: رفع الحصار عن غزة، والعودة إلى حدود عام ١٩٦٧م، والسماح بقيام دولة فلسطينية، وهذه هي الشروط الجديدة التي سنعمل عليها.

*** كيف تفسرون نمو الاقتصاد التركي؟**

هناك أمور بسيطة يمكن أن أشير إليها؛ فالجيش لم يكن خاضعاً للمحاسبة؛ فكان يصرف كما يشاء، والآن الجيش المصري يريد الشيء ذاته؛ لأنهم يقومون بترجمة الدستور التركي الذي قام بصياغته الجيش؛ إذ نخر الفساد جسد المؤسسة العسكرية، وأصبح ما يُدعى أنه يُصرف على التسلح يُصرف على رفاهية الجنرالات وعائلاتهم، فكان الجنرال التركي يأخذ الطائرة المروحية العسكرية ليذهب إلى مدينة شاطئ البحر الأسود في رحلة شواء سمك بلا حسيب ولا رقيب، أو يذهب بأولاده إلى قمة الجبل للنزهة على حساب الجيش. أردوغان قضى على هذه الأمور، وقضى على المناقصات أو العطاءات الدولية التي كانت تدفع رشاً لرؤساء الوزراء أو قيادات الجيش، كما أن دعم التصنيع المحلي يعتمد على التعليم؛ فالتعليم والثقافة والإخلاص والنزاهة إذا اجتمعت تقضي على الفساد والسرقات والاختلاسات، ويبرز النمو في كلّ الأمكنة.

> **مع وصول رجب طيب أردوغان وحزبه إلى السلطة بدأت تركيا بالتغير؛ لأن الجيش لا يعي متطلبات السياسة، ولا يعي كيفية إدارة الأمور سياسياً واقتصادياً واجتماعياً**

*** ضعف الاقتصاد الأوربي والغربي عامةً يقابله نمو في الاقتصاد التركي، كيف تصنّفون علاقات تركيا اليوم مع جارتها اللدودة اليونان؟ وهل يوجد هناك نوع من التقارب تشهده العلاقات بين البلدين في الآونة الأخيرة، أو نوع من التهدئة إن صحّ التعبير؟**

من وجهة نظري مشروع الاتحاد الأوربي ضعف مؤخراً، وأصيب بالوهن؛ فالاتحاد الأوربي يتشكّل من ٢٧ دولة أوربية، والقرار في الاتحاد الأوربي تؤثر فيه الدول الصغيرة والضعيفة؛ فالأزمة الاقتصادية في أيّ دولة أوربية، سواء في اليونان أم في إيطاليا أم في إسبانيا أم حتى في الدول المنضمة إلى الاتحاد حديثاً، أثّرت - بشكل كبير - في الدول الكبرى في الاتحاد، ولم يعُد باستطاعة هذه الدول تحمّل أزمات الدول الصغرى وإخفاقاتها؛ لذا أرى أن مستقبل مشروع الاتحاد أصبح في خطر، ولا يمكننا توقّع ما سيحدث في المستقبل القريب. وتركيا قامت بانتهاج سياسة اقتصادية جيدة، وتمسكت بسياستها، ووضعها النقدي والمالي قوي، وهذا ليس يعني أننا بمنأى عما يقع في أوربا؛ لأن إنتاج تركيا وصادراتها يذهب أكثره إلى هناك، ولهذا ستتأثر تركيا، لكن بشكل عام فإن الاقتصاد التركي متين وفقاً للواقع الحالي. أمر آخر أودّ أن أشير إليه، وهو أنه في عام ١٩٩٤م ذهبت إلى ألمانيا، وكان هناك أناس من اليونان قالوا: إن متوسط دخل الفرد في اليونان يبلغ ١٢ ألف دولار سنوياً في تلك المدة، بينما كان متوسط دخل الفرد في تركيا ٢٠٠٠ أو ٢٥٠٠ دولار، والآن انعكست الأمور، فبلغ متوسط دخل الفرد في تركيا (٨٠٠٠-١٢٠٠٠) دولار، واليونان على وشك الإفلاس، أو ربما أفلست، والسبب في ذلك هو الإخلاص في العمل والقضاء على الفساد.

*** هل بإمكاننا القول: إن تركيا عادت لتلبس ثوبها القديم، أو بمعنى أصحّ: ثوبها القديم الجديد؟**

أولاً، دعني أقول: إن اتجاه تركيا الأساسي هو ناحية أوربا، ليس بقصد التغريب، بل بقصد الانفتاح كما وقع في الماضي؛ إذ جاء الأتراك من آسيا الوسطى، وذهبوا إلى أوربا، ودخلوا إلى داخل أوربا، بل أرادوا أن يفتحوا فيينا. هذا الاتجاه التركي بعد ما يُعرف بالحرب العالمية الأولى أجبر على التغيّر، والآن تركيا في محاولتها الثانية تريد أن تكون مؤثرةً في الداخل الأوربي بوجود



تركيا بين الانفتاح على أوربا والتمسك بالهوية

٢٥ مليون مسلم في أوربا؛ فهناك ١٠٪ من سكان أوربا مسلمون، لكن ليس لهم أيّ تأثير قويّ في داخل أوربا، فيما إذا دخلت تركيا إلى أوربا فسيكون تأثير المسلمين فاعلاً؛ فليس باستطاعة أوربا المسيحية ولا العلمانية التأثير في تركيا. ومن ناحية أخرى، تركيا تريد الآن أن تقوّي هويتها، وتقوّي أيضاً مستوى التعليم لديها، وأن تؤثر في أوربا بشكل إيجابي؛ ففي العهد السابق بعد الحرب العالمية الأولى كان الاتجاه الأساسي لتركيا نحو الاستغراب، الاستغراب ليس بمعنى الانسلاخ والتغريب الكلي، لكن الآن هناك اتجاهات أخرى، وتركيا كانت قد نسيت أو تناست علاقتها مع الشرق ومع الإسلام، والآن عادت إلى هويتها الأصلية. في تركيا بدأ النظام يتغيّر، الجامعات بدأت بالازدياد، حتى مستوى التعليم بدأ يتغيّر. كان التعليم العالي من قبل حسب توجيهات الدولة؛ فكان يتّجه إلى قطع العلاقة مع الإسلام ومع العربية، العلمانيون كانوا يريدون قطع العلاقة مع العرب؛ لأن العرب كانوا يذكّرون تركيا بأصلها الإسلامي، فكانت تقطع العلاقة مع العالم العربي، وكانت تلغي الأقسام العربية في الجامعات، حتى في قونيا قام رئيس الجامعة بإلغاء قسم اللغة العربية وقسم اللغة الفارسية أيضاً، وهذا تصرّف غير مسؤول. والآن كلّ شيء تغيّر؛ فاللغة العربية تُدرّس في كل الجامعات التركية، وأصبحت في تركيا ٤١ كليةً للشريعة، وكذلك ما يقارب ٥٠٠ مدرسة ثانوية لتخريج الأئمة والخطباء، وهم يدرسون اللغة العربية إجبارياً. وفي كليات الشريعة كذلك، وفي الثانويات العادية، يدرسون العربية اختيارياً، وهذا وضع جديد بعد أن مررنا بحقبة كانت الحكومة تجبر فيها الخياط على تغيير لوحة محلّه؛ لأنه مكتوب عليها (خياط)؛ لأنها كلمة عربية؛ فقد مررنا بحقب سيئة جداً.

* حتى في كلية الشرطة؟

نعم، هناك معهد للشرطة يتعلمون فيه اللغة العربية، إضافةً إلى كليات علم الشريعة التي بدأت تعليم اللغة العربية في تركيا منذ ٤ سنوات؛ فقد جاء رجب طيب أردوغان إلى السلطة عام ٢٠٠٠م،

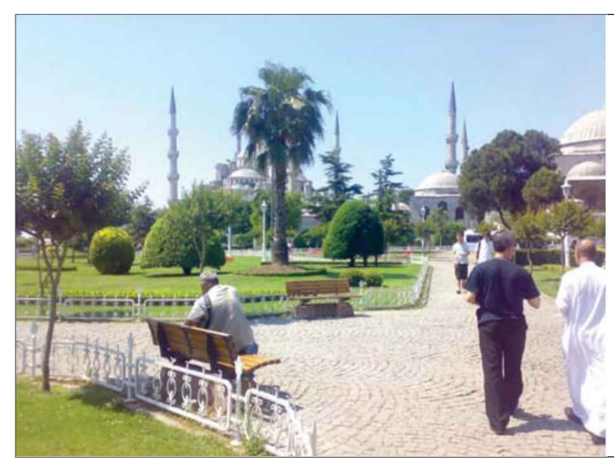
لكن تدخّله في سياسة التعليم بدأ منذ أربع سنوات، ليس لأنه كان رئيس وزراء خاملاً في بداية مدته، بل لحسابات دستورية حالت بينه وبين القيام بهذه التغييرات في بداية وصوله إلى السلطة. ويفضي هذا المشهد إلى أن البناء التعليمي بناء تراكمي النتائج؛ فنحن نتحدث عن أنه في المستقبل القريب ستكون هناك نخبة ثقافية ونخبة سياسية في تركيا لها جذور إسلامية وعربية.

*** حزب العدالة والتنمية له علاقات قوية هنا في السعودية، بصفتك باحثاً اجتماعياً ما الذي تتمنونه من وراء هذه العلاقة؟**

أنا أرى أنها سوف تُعزّز وتتجه نحو الأفضل إن شاء الله، هذا دورنا نحن المثقفين والأساتذة في الجامعات والمؤسسات الأهلية، نريد أن نطوّر هذه العلاقات على مستوى المجتمع المدني؛ لأن العلاقات بين الشعوب هي التي تدوم، ونتمنى من الله أن يبقى حزب العدالة والتنمية في الحكم، لكن في النهاية الحزب السياسي يجيء ويذهب، وفي تركيا دستور وانتخابات، وربما لا يُنتخب حزب العدالة والتنمية مرةً أخرى، وأتمنى أن تتحول هذه العلاقات إلى اتحاد بين تركيا والعالم العربي إن شاء الله.

تركيا كانت قد نسيت أو تناست علاقتها مع الشرق ومع الإسلام، والآن عادت إلى هويتها الأصلية

التنمية التركية نموذج فريد في العالم



*** هل من شيء تود أن تضيفه في نهاية هذا الحوار؟**

أريد أن أقترح أنه في سبيل تطوير العلاقات بين السعودية وتركيا لا بد أن تكون هناك مبادرات تعليمية بين الجهتين؛ كتبادل الطلبة بين البلدين، ولو مرتين في السنة. وكذلك على الجانب الرياضي لا بد للأندية والمنتخبات السعودية أن تجيء إلى تركيا، وتلعب مع الأندية والمنتخبات التركية، وبالعكس؛ فهذا من شأنه أن يعزّز العلاقات بين البلدين على مستوى الشباب. والجيل السعودي الجديد يتابع الكرة التركية بشكل جيد، ويعرف الأندية التركية جيداً؛ مثل: نادي غلطة سراي؛ لأن الكرة التركية متطورة، وكثيراً من اللاعبين الأوربيين والأفارقة المشهورين يلعبون لمصلحة أندية تركية، والعكس صحيح. إذاً، فالتبادل الثقافي والاجتماعي من الفئة الشبابية، والتبادل الثقافي بين النخب والمفكرين، مهمان جداً لتعزيز هذه العلاقة على صعيد الشعوب. ويمكن أيضاً تدريس اللغة التركية في الجامعات السعودية أو في بعض المؤسسات.

*** هل هناك جمعية سعودية تركية مشتركة؟**

هناك جمعية الصداقة التركية السعودية، وهي جمعية ليست نشيطة بما فيه الكفاية؛ لأننا بحاجة إلى تعزيز العلاقات لتصل إلى أبعد من تلك الجمعيات، التي أقصى ما توفّره تذاكر الحج والعمرة. نحن بحاجة إلى تبادل ثقافي حقيقي وعلاقات قوية ومتينة بين شعبي البلدين. وأودّ أن أشير في نهاية الحديث إلى اعتقادي أن نظام الأسد على وشك الانتهاء؛ فالأوربيون جدّدوا العقوبات على إيران حتى يشغلوا إيران بنفسها؛ لكي يحولوا دون تدخلها في أمور سورية، وبذلك سيضرب الغربيون عصفورين بحجر واحد، يعني: يريدون أولاً أن يقلّصوا قوة إيران، وثانياً يريدون أن يحوّلوا ثورة سورية من ثورة إسلامية مثلما قال رئيس الوزراء السوري: إذا سقط نظام الأسد فستكون هناك إمبراطورية إسلامية، فهم يريدون أن يحولوها إلى مسار آخر غير إسلامي.

عمر بن قينة
جدة – السعودية

القطة التي أفسدتها الرفاهية

أضيق في البيت بالحيوانات مطلقاً. كذلك ضقتُ بقطة أطفالي، لكنني صَمَتُّ مراعاةً لخواطرهم، ولم تُجْدِ ملاحظاتي عن إمعانهم في تدليلها، وقد سحرتهم بأسلوبها (الذكي) تودداً واستعطافاً، وتجاوزتهم إليّ في (لحظات العسر)؛ فحين لا يفتح لها باب البيت باكراً للخروج في فسحة، وتلمحني، تُهْرَعُ نحوي متمسحةً برجلي تموء، فأنظر إليها، فأرى الاستعطاف ظاهراً في عينيها وهما تدوران بيني وبين الباب، ولسان حالهما يقول: «افتح لي الباب، الله يرضى عليك». فعلتها في البدء ذات مرة رأفةً بها، فجاءتني الاحتجاجات من كل حدب وصوب، ليس من أطفالي فحسب، بل من أمهم المتعاطفة معهم أيضاً، وهم يعلنون أنها ستمرض من هذا الخروج الباكر إلى حديقة البيت الصغيرة.

تعلّمت، لكنني صرت أيضاً أعطف على هذه القطة، وقد تطور سلوكها، وارتقى في التعامل، فصارت ترحّب (متمسحةً) برجلي حين أقبل وفي يدي طعام تحسب أن فيه شيئاً لها، كما تتمسّح بأطفالي، وإن كانت تعرف أنه ليس من عادتي أن أقدم لها شيئاً، فإنها تقنع بأن ترى أن هناك طعاماً تنتهي مهمتي بوضعه؛ لتُهْرَعَ إلى من في القرب؛ زوجتي أو أحد أطفالي، أن هلمّوا اكشفوا ما في (القفة) أو (الكيس).

أما إذا أقبلت الزوجة من السوق بمؤونة أسبوعية أو يومية، أو أقبل بذلك أحد من أطفالي، خصوصاً أختهم الكبرى، فهات يا مواء، وهات يا تمسحاً؛ لبذل لحم طازج لها أو مُعلّب، وهات يا إحتجاجاً منها إن تأخرت الاستجابة لموائها!.

هكذا صارت عبئاً في المال والوقت؛ فأنا لا أتحدث عن العبء المالي في قطعة لحم، أو علبة منه، إنما في المتابعة الطبية لها؛ فقد صارت لها بطاقة صحية تصحبها إلى (البيطري) مع ابنتي الكبرى غالباً، وغيرها نادراً كأحد إخوتها الأكبر، للتطعيم أو للمعالجة حتى من (أعراض زكام). ولهذا كله ثمنه المالي، ثم ثمنه الأهم والأعظم (الوقت)، الوقت الضائع لدى البيطري ذهاباً وعلاجاً وعودةً، الوقت الضائع في تقديم الطعام إليها، في تنظيف آنيتها، حتى في إعداد فراشها، فارتقى التعامل معها إلى مستوى رضيع استثنائي مدلّل، موضع تفكير في الحل والترحال، فصارت في الحساب (رقماً) في الأسرة، حتى إذا سافر أحدهم لا عذر له حين العودة في السهو عن نصيبها: (علبة) من (لحم) مستورد طريّ فاخر، فإذا استلذّته أعلنت حركاتها حين الفراغ منه بعد أيام: أين المزيد منه؟ حتى جاءتني خارج الوطن ذات يوم رسالة على البريد الإلكتروني من ولدي، خلاصتها: أن (دينا) -وهذا هو اسمها- طاب لها اللحم المعلّب الطريّ الذي حملته أمي من هناك؛ فلا تنسها بمزيد منه، ألم أقل لك: إنها باتت هماً شاغلاً يستنفد مالاً ووقتاً وتفكيراً!.

المشكلة الكبرى أن قطة أطفالي (دينا) أفسدتها الرفاهية، وهي هنا (رمز) بشكل ما؛ لذلك وحده أخذت القلم. أقبلت هرة فتية تلتهم كلّ ما يقدم إليها، فحتى حين نجلب (سردينا) كانت الزوجة تقذف إليها برأس (السمكة)، فتستطيبه قانعةً، ثم بدا لها أن في هذا ظلماً، فصارت تعرض عن (الرأس)، وتريد السمكة مُنظّفةً من دون رأس ولا زعانف. فاستجاب الأهل، وراعوا خاطرها، فأضافوا إليها اللحم، فأعرضت تماماً عن كل أشكال السمك، تريد لحماً، فكان لها ما أرادت، ومضت (أخلاقها) تفسد.

كانت في البدء صيادةً ماهرةً تكمن للعصافير الصغيرة الهينة في الحديقة، فتنقضّ على الضحية، وتحملها بين فكيها، وتقبل في أروقة البيت يسبقها مواؤها معلنةً ظفرها بطعامها؛ لتلتهمه أمام الملأ بشهية بالغة، ولسان حالها يقول: إنني بطلة!. كما كانت بالمرصاد لأيّ حشرة، أما القطط الأجنبية فالويل لها إن

اقتربت من حرم البيت!.

كانت هذه حالها، ثم استشرى الفساد في (سلوكها)، ساعد عليه لاحقاً تقدمها في (السن)، فصارت كسولةً، حتى صارت (تؤثر) اللحم المُعلّب المستورد اسماً ونوعاً، فعلينا الفحص: كبد الغنم أولى من (اللحم) العام مطلقاً، ولحم الديك الرومي آخر خيار، فتعرض عن اللحم المحلي من دون استثناء!.

أليس هذا (فساداً) في (السلوك)؟ من المسؤول عن ذلك؟ الجواب واضح: (الرفاهية) التي أنتجت الأنانية، كما أنتجت ما هو أبشع: الكسل!.

أشرتُ إلى ملامح من (الرفاهية) التي انتهت إليها قطة أطفالي، فأورثتها هذا (الفساد) بالإعراض عن بذل الجهد، باستطابة الكسل، والخمول، والأنانية؛ فهي غاضبة دائماً من مغادرة جميع أفراد الأسرة أو معظمهم البيت من دونها، تعبّر عن ذلك بالمقاطعة حين يعودون؛ فلا تنظر إلى أحد، ولا تتمسّح بأحد، تنأى بنفسها عن الجميع، معبّرةً عن غضبها بحركاتها ونظراتها؛ حتى تبلغ رسالتها (الجميع) في ساعات؛ ليعود إليها هناؤها بالتدريج، ولسان حالها يقول: صفحتُ وغفرتُ لكم خطأكم.



هذه الأنانية لم تتوقف عند إيثارها بالفراش الوثير في غرفة البنات، هي تريده كذلك في غرفة (الجلوس) حين يلتئم اللقاء لتناول أفراد الأسرة شاياً أو قهوةً. عصراً تريد لها مكاناً في (الوسط) على بساط مريح تتمدد عليه بهناء سعيدة بالتئام الجميع الذي باتت عنصراً فيه، ولا يزعجها فيه إلا حين يريد ولدي الأصغر إزعاجها بلغة رادعة تدعوها إلى الهدوء والنوم: (كوشي)؛ أي: نامي باللغة الفرنسية (coucher)؛ إيعازاً بعرقها الفرنسي، فكونها (فرنسية) فأمرها الرادع الفاعل بالفرنسية. لهذا تستجيب فوراً مرعويةً، وهو الوحيد الذي يخيفها، مع أنه كثيراً أيضاً ما يلاطفها بين ذراعيه، ثم ربما صار يسأل عنها حتى وهو في (لندن) للدراسات العليا.

لكن أنانية الاستئثار بالمدفأة شتاءً لا يمكن أن تتنازل عنها؛ ففي غرفة الجلوس نفسها تختار موقعها بجانب المدفأة، فإن رأت أحد أفراد الأسرة اختار موقعه قربها راحت تموء وتموء حتى يفسح لها؛ لتستمتع بالدفء في الجلسة العائلية.

إنها (الأنانية)؛ ضرب من الفساد الذي تمكّن من قطة (أطفالي)!.

من مكّن لهذا الفساد لديها؟ أطفالي؟ وهل أبرّئ نفسي وقد تحوّلت من ضيق بها إلى رضا بالواقع؟! أليس حالنا جزءاً من حال شعوبنا العربية؟! أليس صورةً لها؟!

أعتقد مع ذلك أن أطفالي أحسن حالاً من واقع حال في شعب عربي، مع الاختلاف الجزئي في الموازين والأوضاع.

كم هي مفسدة الرفاهية!!.

كان الحمار منذ قديم الزمان -ولا يزال- محلّ سخرية الإنسان وجوره وظلمه، مع أن هذا الحيوان المسكين يتميّز بالصبر على الأذى، والتفاني في العمل، والذكاء الثاقب، والشهامة، والوفاء، بل إن الإنسان تعوّد أن يلصق به صفات سلبية هي في الأصل من صميم عيوبه الذاتية، والحمار بريء منها؛ مثل: الغباء، والعناد، والكسل، والجهل.



الحمار

ملهم الفلاسفة والفنانين

رشيد فيلالي
قسنطينة – الجزائر

الحمار أصله من العالم العربي وهو أغلى القرابين لدى اليونانيين!

تؤكّد دراسات علمية حديثة أن الحمار المدجّن يعود أصله إلى منطقة شمال إفريقية، وتحديداً منطقة النوبة في مصر؛ إذ وُجد هناك منذ قرابة ٥-٦ آلاف سنة. لكن دراسات أخرى تؤكّد أن موطنه هو الصومال أو الجزائر، واسمه اللاتيني Aquinis Asinus، وكان الرومان قد برعوا في استئناسه عندما حلّوا بالجزائر، وهذا ما جعل الحمار البري المتوحش ينقرض مع مرور الوقت على نحو سريع.

صار الحمار منذ سنين غابرة رفيقاً للإنسان أليفاً، يستخدمه في أغراضه وشؤونه اليومية المتعددة. ولم يكتفِ الإنسان بذلك، بل راح ينسج حوله كثيراً من الأساطير والحكايات؛ فقد ورد في الميثولوجيا الإغريقية أن الحمار كان يعدّ قرباناً ثميناً يقدم إلى برياب Priape إله الخصوبة. أما لدى الرومان، فإن أساطيرهم تبرز الحمار على أنه حامل الخير والمتعة واللذائذ؛ لأن إله الخمر في معتقداتهم، وهو باخوس Bacchus، كان له حمار يحمل قنّينات معبأة بشراب النبيذ. ونتيجةً لهذا الاعتقاد دأب الرومان على الاحتفال بيومي ٨ و٩ يونيو بما يطلقون عليه Vastalia. وفي هذا الاحتفال، المقام أصلاً على شرف الإلهة فيستا Vesta ابنة جوبيتار وروي Rhèe، يُساق فيه موكب من الحمير مزيّن بالذهب، ومتوّج بالورد؛ إكراماً لهذا الحيوان الوديع!.

اشتهر الحمار أيضاً بكونه ملهماً للفلاسفة والشعراء والفنانين، على عكس الصورة النمطية الراهنة المشوّهة له؛ إذ، على سبيل المثال، نجد أقدم نصّ روائي في التاريخ، ألّفه الأديب الجزائري أبوليوس، المولود في مدينة سوق أهراس (شرق الجزائر) عام ١٢٨ قبل الميلاد، يحمل عنوان: (التحولات أو الحمار الذهبي).

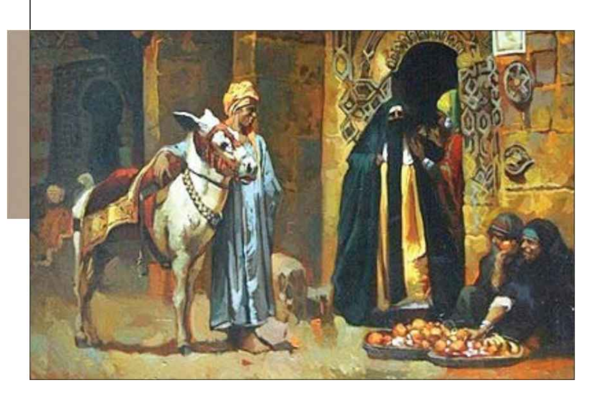
وفي القرون الوسطى، كتب الفيلسوف جون بوريدون Buridan عدداً من الحكايات التي تظهر مختلف العادات المتبعة في ذلك الوقت من خلال كتابه الذي تأثّر به أدباء عرب كثيرون فيما بعد، وهو يحمل عنوان: (حمار بوريدون). ويذكّرنا هذا العنوان من دون شكّ بحمار توفيق الحكيم، ورضا حوحو، وغيرهما في العصر الحاضر. لكن قبلهما نجد فلاسفةً عالميين آخرين تأثّروا بعمل الفيلسوف بوريدون، خصوصاً في عصر النهضة، وعلى رأسهم



جمعية الحمير

هي جمعية مصرية أسّسها عام ١٩٣٠م الفنان الراحل زكي طليمات بهدف رعاية حقوق الحيوان للحمار، ودخل في عضويتها عدد من الممثلين والفنانين والكتّاب المصريين على ما يبدو بسبب إغلاق الاحتلال البريطاني معهد الفنون المسرحية في ذلك الوقت. ثم أعيد تأسيسها عام ٢٠٠٤م بوصفها جمعيةً خيريةً بهدف رعاية ما يعادل تقريباً نصف مليون حمار في مصر، وقد مضى على تأسيس الجمعية مدة طويلة في محاولات لنشرها، لكن وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية احتجّت بأن الاسم غير مناسب، ويناي التقاليد المصرية. كما تأسّست في المنطقة الكردية في شمال العراق خلال عام ٢٠١٠م جمعية أخرى دعت نفسها (جمعية الحمير)، أسّسها عمر كلول، وأذاعت الخبر قناة العربية الفضائية، وأجرت معه مقابلات. وترفض هذه الجمعية تسمية نفسها حزباً. ومن التصنيفات والتسميات في الحزب ومعانيها: خان (المكتب السياسي)، وإسطبلات (الفروع الحزبية)، والمعالف (الفرق الحزبية). ومن ألقاب أعضاء الجمعية حسب مدة العضوية: الجحش، والحمار الصغير، والحمار الكبير، وصاحب الحدوة، وصاحب البردعة.

اشتهر الحمار بكونه ملهماً للفلاسفة والشعراء والفنانين، على عكس الصورة النمطية الراهنة المشوّهة له

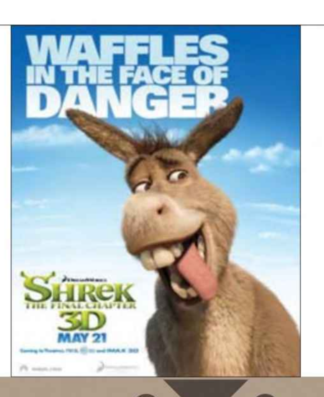

مهام متعدد للحمار في المجتمع العربي

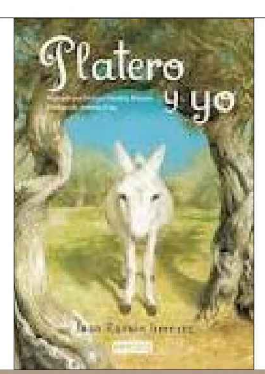
الفيلسوف الإيطالي جيوردانو برينو Bruno، الذي اتّخذ من الحمار نموذجاً أعلى في التبحّر في العلم والمعرفة، وهذا الأمر جعل مجتمعه يلصق به جملةً من التهم الخطيرة، منها الزندقة، فأُحرق حياً من جرّاء ذلك وهو في الخمسين من عمره!. وفي عام ١٦٩٤م، نشر الأديب الفرنسي شارل بيرو C. Perrault حكاياته الشهيرة عن الحمار، التي حقّقت نجاحاً وانتشاراً ساحقاً. كما ألّف في مدح الحمار شعراء وأدباء كبار كثيرون؛ مثل: الجاحظ، وفرانسيس جيمس، وبريجيد دال، وبول فاليري، وكاساديوس، وجون مايبوري، وجوني فيالو، إلا أن أعظم انتصار، وأسمى تبجيل، ناله الحمار جاء بعد نيل الشاعر الإسباني خوان رامون خيمينث Jimenez جائزة نوبل عام ١٩٥٦م عن مجموعته الشعرية (حماري وأنا)!.

الحمار شعار حزب أوباما الديمقراطي وحليب الأتان فيها منافع جمة!

وكما ذكرنا آنفاً، فإن النبلاء في القرون الوسطى بأوربا كانوا يتخذون الحمار شعاراً لهم، وفي العصر الحاضر نجد أن شعار الحزب الديمقراطي الأمريكي، الذي أسّسه توماس جيفيرسون في القرن الثامن عشر، ويعمل تحت ظلاله الرئيس الأمريكي







نوبل والأوسكار





لم يكن الحمار بعيداً من التكريم الأدبي؛ فقد نال أشهر جائزتين عالميتين، هما نوبل في الأدب، والأوسكار. نال الشاعر الإسباني خوان رامون خيمينيز جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٥٦م عن روايته (Platero وأنا) التي كتبها عام ١٩١٤م، وهي إحدى الكلاسيكيات العالمية، ويرصد فيها، من خلال مجموعة من المقالات القصيرة، تجاربه مع حماره Platero، واصفاً العالم الطبيعي، ودورة الحياة، والأمكنة، والناس، والاحتفالات، وعادات قريته Moguer التي تقع في إقليم الأندلس الإسباني. وتتناول الرواية علاقة الصداقة التي نشأت بين خيمينيز وحماره، والعطف المتبادل بينهما، ومدى حبّ خيمينيز حياة القرويين البسيطة والبريئة، والطبيعة، والبهجة في جميع جوانب الحياة المختلفة.

كما حصل فلم الصور المتحركة (شريك) -إحدى أطرف الشخصيات الكارتونية في عالم الـ3D بأسلوب حديث مرح وتعبيرات مضحكة- على جائزة الأوسكار لأفضل فلم صور متحركة عام ٢٠٠١م، وهو أول فلم يفوز بالجائزة عن هذه الفئة التي استحدثت في ذلك العام. والفلم من إنتاج وتوزيع شركة دريم ووركس أنيميشن الأمريكية عام ٢٠٠٤م، ومن إخراج أندرو أدامسون وفيكي جونسون. ويستند الفلم في قصته على رواية خيالية كتبها المؤلف البريطاني ويليام ستيغ عام ١٩٩٠م تحمل الاسم نفسه. وشريك هو غول أخضر يعيش في المستنقع وحده إلى أن يجد الحمار دونكي، ثم يجد أن كلّ شخصيات القصص الخيالية ينامون في مستنقعه، فيذهب إلى اللورد فركواد، ومعه الحمار مساعداً له، ويطلب منه أن يذهب إلى عرين التنين لينقذ الأميرة فيونا، لكنه يقع في حبّها خلال إنقاذها.

باراك أوباما حالياً، هو الحمار!.

من جهة أخرى، نشير إلى أن هناك على طول السنة أعياداً تحتفل بالحمار، خصوصاً في أوربا؛ إذ تُقام مهرجانات ودورات رياضية وتنافسية بطلها الرئيس الحمار، وفيها ينال الفائزون جوائز مهمة، والطريف أن لحم الحمار كان طعاماً لذيذاً في فرنسا منذ قرنين؛ إذ كان يُصنع منه ما يسمى (السوسيسون)!.

والغريب في الأمر أيضاً أن لأنثى الحمار (الأتان) حليباً فيه فوائد صحية ومنافع كثيرة؛ إذ كان الإغريق يعدّونه دواءً جيداً، ويعدّه الرومان شراباً فاخراً، وقد وصفه أبو الطب (أبو قراط) لمختلف العلل والأمراض، منها: التسمّمات، وآلام المفاصل، وعلاج آثار الجروح، فضلاً عن قيمته الغذائية. وربما لهذه الأسباب مجتمعةً كانت المستشفيات ودور الحضانة في فرنسا إبّان القرن التاسع عشر تمنح الأطفال ضعيفي البنية حليب الأتان، الذي تبيّن علمياً أنه يشبه إلى حدّ مذهل - حسب التحاليل المخبرية - حليب الأم؛ فعلى سبيل المقارنة نجد مادة الكازايين لدى الأم المرضعة يحتوي حليبها على نسبة ٠,٣٤، ولدى الأتان ٠,٦٠، والألبومين لدى الأم المرضعة ١,٣٠، والأتان ١,٥٥، واللاكتوز عند الأم المرضعة ٧,٠٠، والأتان ٦,٤٠، ومختلف الأملاح نجدها في حليب الأم المرضعة بنسبة ٠,١٨، وعند الأتان ٠,٣٢، والماء في حليب الأم ٨٧,٣٨، وعند الأتان ٨٩,٦٣. مع التذكير أنه يصعب الحصول على حليب الأتان الذي يُنتج منه يومياً ما يراوح بين لتر ولتر ونصف في حالة أخذ ابنها الجحش منها بالقوة. ومعلوم حالياً أن حليب الأتان مفيد جداً لسلامة البشرة؛ فقد أوردت مختلف المصادر التاريخية أن الملكة كليوباترا كانت تأخذ حمامها اليومي عن طريق الغطس في هذا الحليب، والشيء نفسه كانت تقوم به أيضاً زوجة الإمبراطور الروماني نيرون، التي تُدعى Poppèe. وفي أوربا تشيع الآن مواد تجميلية (صابون، وغسول، ومراهم، وغيرها)



الآثار الفرعونية تبرز دور الحمار عبر التاريخ

الملكة كليوباترا كانت تأخذ حمامها اليومي عن طريق الغطس في حليب الأتان، والشيء نفسه كانت تقوم به أيضاً زوجة الإمبراطور الروماني نيرون



مصنوعة أساساً من حليب الأتـان الطبيعي، كما توجد أيضاً جمعيات عالمية في أمريكا وكندا وفرنسا وبلجيكا وسويسرا تعالج نفسياً بالحمار، بوصفه رفيقاً ومؤنساً، ويُطلق على هذا النوع من العلاج مصطلح Asinothèrapie؛.

الحمار ثروة ضائعة في وطننا العربي

إذا كان العالم العربي هو موطن الحمار الأصلي فإن هذه الثروة القومية الحيوانية ما زلنا لا نوليها أيّ اهتمام، ولا نقدّر قيمتها حقّ قدرها مادياً ومعنوياً، علماً أن لهذا المخلوق الطيب أفضالاً كثيرة علينا مثلما ألمحنا

مهرجان الحمير بالمغرب

تأسّس هذا المهرجان عام ٢٠٠١م على يد جمعية قدماء تلاميذ بني عمار زرهـون –أقدم جمعية ثقافية بالريف المغربي– في قرية تاريخية معزولة بمقدمة جبال الريف بمنطقة زرهون ضواحي مدينة مكناس، هي قصبة بني عمار. وسُرعان ما نال هذا المهرجان، الذي يديره الشاعر والإعلامي المغربي محمد بلمو، شهرةً كبيرةً بعد إدماج مسابقات الحمير خلال الدورة الرابعة إلى جانب أنشطة ثقافية وفنية وأدبية واجتماعية متنوعة وغزيرة. وعلى الرغم من الميزانية الضعيفة التي توفّرها الجمعية وداعموها للمهرجان، وغياب البنيات الثقافية التحتية بالقرية؛ فقد أصبح المهرجان مع مرور الدورات قبلةً لأشهر القنوات الفضائية والصحافة المكتوبة والإلكترونية. ويتضمن كرنفال الحمير الذي يشكّل جزءاً بسيطاً من مواد المهرجان مسابقة أجمل حمار وحمارة، وسباق السرعة. ويمنع المنظّمون كلّ أنواع استعمال العنف مع الحمير الذين يؤدون دوراً أساسياً في المنطقة الجبلية الوعرة المسالك والطرق. وينال الفائزون، وكلهم من فقراء المنطقة، مبالغ مالية وأكياساً من الشعير للحمير الفائزة، إضافةً إلى الكشوفات والمعالجات البيطرية التي تتكفّل بها جمعية الرفق بالحيوان والمحافظة على الطبيعة. ولم يستطع المنظمون بعد إنشاء جمعية خاصة بتنظيم المهرجان من حصر كلّ ما صدر عن الدورة التاسعة لمهرجان بني عمار زرهون (المعروف إعلامياً بمهرجان الحمير) في الصحافة الورقية والإلكترونية الصادرة في شهر يوليو عام ٢٠١١م؛ لغزارة تناقل أخبارها في الصحف والمواقع والمنتديات على شبكة الإنترنت، ووصل عدد العناوين التي أُحصيت أكثر من ٢٠٠ عنوان، أغلبها بالعربية، إضافةً إلى اللغتين الفرنسية والإنجليزية. في حين تناقلت عشرات القنوات الفضائية التقرير التلفازي الذي أنتجته وكالة رويترز حول كرنفال الحمير.



سابقاً، منها كونه لا يُستغنى عنه في الأرياف والقرى النائية؛ إذ يساهم هناك في فكّ العزلة عن السكان، وأداء مختلف الأشغال الزراعية والتنموية، وفي المقابل لا يستهلك سوى كميات ضئيلة من الكلأ، ويظلّ يبثّ شكواه من جرّاء الحمولات الثقيلة، وضربات العصيّ والسياط، عن طريق نهيقه الذي يمكن سماعه من بُعد ١٥كم!. وللذين يقدّرون جهود هذا الحيوان الصبور نؤكّد أنه لا يزال يقاوم من أجل إثبات وجوده؛ إذ يتكاثر بمختلف مناطق العالم (ينجب جحشاً واحداً في السنة)، ولا خوف من انقراضه؛ فقد بلغ عدد الأحمرة في الصين ١١ مليون حمار، وفي الهند مليوناً ونصف المليون، وفي إثيوبيا خمسة ملايين، وفي الجزائر ٣٤٠ ألفاً، وفي إسبانيا ١٣٠ ألفاً، وفي فرنسا ٢٥ ألفاً، وفي غانا ١٠ آلاف حمار.

الحمار الوحشي

يعرف أيضاً بالحمار المخطط (بالإنجليزية: Zebra)، وهو حيوان يشبه الحصان، من فصيلة الخيليات يعيش على شكل قطعان بريّة في المناطق الحارّة الجافّة شبه الصحراويّة، والمناطق الجبليّة من إفريقية الشرقيّة والجنوبيّة، ويتميّز جلده الأبيض المائل إلى الصفرة بخطوطه البنيّة الواضحة، ويتغذّى على الأعشاب والشجيرات الغضّة.

تلد الأتان وهي أنثى الحمار في أي وقت من أيّام السنة، وترضع مولودها نحو عام كامل، بالإضافة إلى تناوله الأعشاب الغضّة بعد أيّام من ولادته، ويتضاعف وزنه خلال أسابيع، وينضمّ إلى القطيع الذي يؤمّن له الحماية من الحيوانات المفترسة.

الحمار الوحشي فريسة سهلة للحيوانات المفترسة، مع أنه سريع في الجري، ويستخدم قدميه الخلفيتين بالرفس دفاعاً عن نفسه، ألا أنه يصبح فريسة سهلة عند طلبه الماء قرب الغدران.

وتتعرّض قطعان حمار الوحش للانقراض بسبب نقص المياه، وبسبب الصيد الجائر للإفادة من جلده الجميل، ولحمه أحياناً.

حمار جحا

هو أشهر حمار في التراث العربي. وقد استطاع جحا، ومن ورائه الشعب العربي، أن يعبّر من خلال هذا الحمار عن كثير من جوانب الفلسفة والحكمة الإنسانية. ونصر الدين جحا هو شخصية فكاهية انتشرت في كثير من الثقافات القديمة، ونُسبت إلى شخصيات كثيرة عاشت في عصور ومجتمعات مختلفة، ونُسب في الأدب العربي إلى أبي الغصن دُجين الفزاري، الذي عاصر الدولة الأموية، وهو أقدم شخصيات جحا، وتُنسب إليه النكات العربية. وفي الأدب التركي نُسبت قصص جحا إلى الشيخ نصر الدين خوجه الرومي، الذي عاش في قونية معاصراً الحكم المغولي لبلاد الأناضول، ومعظم القصص المعروفة في الأدب العالمي تنسب إليه.

ومن طرائف جحا العربي مع حماره أنه كان يركبه حينما مرّ ببعض القوم، وأراد أحدهم أن يمزح معه، فقال له: يا جحا، لقد عرفتُ حمارك، ولم أعرفك. فقال جحا: هذا طبيعي؛ لأن الحمير تعرف بعضها.

وعندما ماتت امرأة جحا لم يأسف عليها كثيراً، وبعد مدة مات حماره، فظهرت عليه علائم الغم والحزن، فقال له بعض أصدقائه: عجباً منك، ماتت امرأتك من قبل ولم تحزن عليها هذا الحزن الذي حزنته على موت الحمار، فأجابهم: عندما توفّيت امرأتي حضر الجيران، وقالوا: لا تحزن؛ فسوف نجد لك أحسن منها، وعاهدوني على ذلك. لكن عندما مات الحمار لم يأت أحد يسليني بمثل هذه السلوى، أفلا يجدر بي أن يشتد حزني؟!.


حمار جحا من أشهر الحمير



الحياة بين العنف والجنس في العهد القديم

تبدو الحياة الدنيا في التوراة قاتمةً سوداويةً؛ فكلّ شيء فيها يميل إلى الابتذال والعنف والهبوط، وكلّ شيء فيها صعب وشاذّ، ولا يكاد الإنسان يجد أحداً يلجأ إليه، ولا أملاً ينتظره، ولا رجاء في هذه الدنيا، ولا فيما وراءها.

عبدالحليم عويس
القاهرة – مصر

فصورة الآخرة والجنة في التوراة صورة غائمة غير محددة الملامح. حتى الدين اليهودي ليس مفتوحاً للجميع؛ إنه مغلق أمام الناس؛ لأنه دين خاص، له إله خاصّ، وله أنبياء مخصوصون، وله شعب خاصّ، وهو شعب الله المختار!!.

شهوة القتل والتدمير

حتى الله -سبحانه وتعالى- ليس ملاذاً للمستضعفين، ولا ملجأ للأبرياء والتائبين، وليس رباً للعالمين؛ يعولهم، ويشملهم برعايته، بل هو ربّ انفعالي غضوب قاسٍ، قلَّما يعرف الرحمة، بل قلَّما يعرف العدل إذا صدّقنا روايات التوراة حول الإبادات الجماعية، التي يُؤخذ فيها أبرياء كثيرون بذنب واحد فقط ارتكب خطيئة ما.

وعندما كان موسى يمرّ في طريقه إلى أرض كنعان أمره الربّ قائلاً: «متى أتى بك الربّ إلهك إلى الأرض التي أنت داخلها لتمتلكها، وطرد شعوباً كثيرة من أمامك: لا تقطع لهم عهداً، ولا تشفق عليهم، ولا تصاهرهم»[١].

ومن العجيب أن شهوة القتل والتدمير لا تصيب هذا الرب الإسرائيلي في حالة الحرب فقط، بل إذا كان السلام انتابته هذه الشهوة؛ ففتَّش عن مسوّغ للقتل، فتذكّر قوماً مرّ بهم شعب إسرائيل إلى كنعان، وكانوا قد أنزلوا إصابةً جسيمةً بالعابرين الغزاة، وهذا واجبهم، فقال رب الجنود: «إني افتقدتُ ما عمل عماليق بإسرائيل، حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر، فالآن اذهب واضرب عماليق، وحرّموا كل ماله، ولا تعفُ عنهم، بل اقتل رجلاً وامرأةً، وطفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، وجملاً وحماراً»[٢].

ومع ذلك، فهذا الرب لا يملك كلّ مقومات الربوبية؛ فكثيراً ما تردّد ورجع في قراراته بعد أن شعر بأنه تعجّل في اتخاذ القرار؛ فعندما يشرك نبي الله سليمان بهذا الإله، ويعبد آلهة نسائه، يهدده الرب بأن يمزّق مملكته، ثم يتراجع قائلاً: إلا أني لا أفعل ذلك في أيامك من أجل داود أبيك. ثم يتراجع تراجعاً آخر، فيعلن أنه لن يمزّق المملكة كلها، بل سيعطي سبطاً واحداً لأبيك لأجل داود عبدي، ولأجل أورشليم التي اخترتها!![٣]. هذا هو إله التوراة، إله إسرائيل (يهوه)، الذي نشأ إلهاً بدوياً ثم نما وتطور!!.



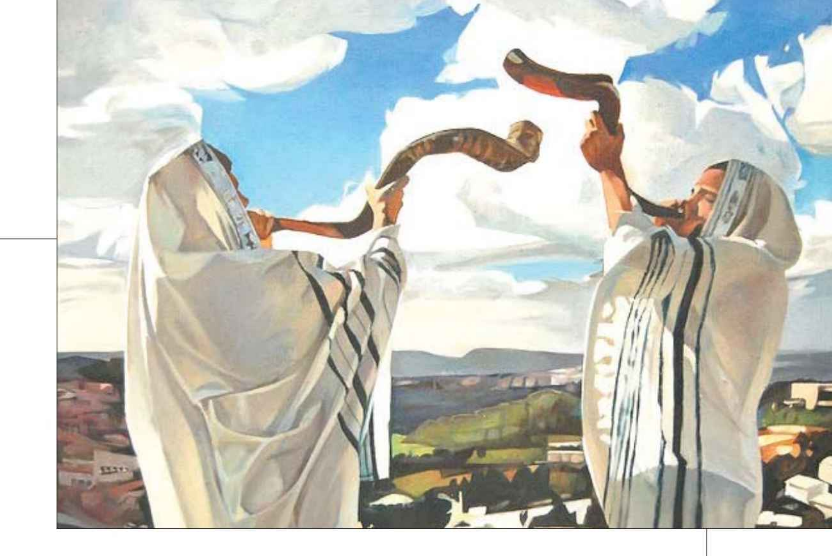
إله خاصّ

كان تأثير التوراة خطيراً مفسداً بالنسبة إلى مجموعة رواياتها عن ذات الله سبحانه وتعالى. فالله يبدو في التوراة إلهاً يندم ويتوب، ويتعب ويستريح، ولا يعرف خطيئة آدم إلا بعد أن يسمع حفيف الأشجار في الجنة، ويستنتج أن آدم يختفي وراء الأشجار لأنه ارتكب شيئاً ما. وهو إله يعتذر لبني إسرائيل عن خطئه في حقهم، ويتنسّم رائحة الشواء فيَقْبلُ التوبة؛ لأن رائحة الشواء أعجبته، فضلاً عن أنه إله خاصّ، وليس رباً للعالمين.

كما كان تأثيرها خطيراً مفسداً بالنسبة إلى حديثها عن ذوات الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وكانت لهذه الإساءات لله ورسله آثارها السيئة في الفكر الإنساني عامةً، والفكر الأوربي والسلوكيات الأوربية خاصةً، ولعلها كانت وراء النزوع اللاديني والنزعات الانحلالية واللاأخلاقية التي تهيمن على روح الحضارة الأمريكية الأوربية المعاصرة!!.

إن سفر راعوث، وقصة إستير في السفر المعنون بهذا الاسم

تقدم التوراة صفحات طويلة حافلة بالإساءات البالغة إلى عدد كبير من أنبياء الله، على رأسهم: إبراهيم، ولوط، وإسحاق، ويعقوب، ثم يأتي الدور على داود وسليمان





يبدو الله في التوراة إلهاً يندم ويتوب، ويتعب ويستريح، ولا يعرف خطيئة آدم إلا بعد أن يسمع حفيف الأشجار في الجنة، ويستنتج أن آدم يختفي وراء الأشجار لأنه ارتكب شيئاً ما



(سفر إستير)، وأخيراً سفر نشيد الأنشاد، هذه الأسفار خاصةً كانت ذات تأثير سلبي مدمّر للأخلاق الاجتماعية في الحياة الأوربية؛ لأنها ملأى بالمباذل الأخلاقية التي تصل إلى درجة الحثّ على الرذيلة. ومع ذلك، فهي تدخل في المنظومة العبادية والدينية عند اليهود والنصارى؛ لأنها جزء من العهد القديم الذي يؤمن به أولئك وهؤلاء!!.

إن هذه الأسفار تتضمّن دعوات صريحة للهبوط والابتذال، حتى في مستوى الألفاظ والتشبيهات السافرة الجريئة التي تضمّنتها!!. ولنقتطف هذه الآيات من سفر راعوث لنعرف كيف أن نعمى تحثّ زوجة ابنها الميّت على أن تذهب إلى قريبها بوعز الفتى لتبيت معه؛ حتى تكسب ماله وقلبه، فيتزوجها. تقول التوراة[٤]: «وقالت لها نعمى حماتها: يا بنتي، ألا ألتمس لك راحةً؛ ليكون لك خير؛ فالآن أليس بوعز ذا قرابة لنا؟ الذي كنت مع فتياته.. ها هو يذّري بيدر الشعير الليلة، فاغتسلي، وتدهّني، والبسي ثيابك، وانزلي إلى البيدر، ولكنْ لا تقربي عند الرجل حتى يفرغ من الأكل والشرب، ومتى اضطجع فاعلمي المكان الذي يضطجع فيه، وادخلي، واكشفي ناحية رجليه، واضطجعي.. وهو يخبرك بما تعملين(!!). فقالت لها: كل ما قلتِ أصنع».

وفي سفر إستير يتحدث السفر عن الملك أحشويروس، الذي كان كملك ألف ليلة وليلة؛ يختبر البنات العذارى بأن ينام معهن ليختار في النهاية إحداهن زوجةً له. وعن طريق هذا الملك نجحت الفتاة اليهودية إستير في مساعدة عمها أردخاي على الاستيلاء على قلبه، ثم إبادة خمسة وسبعين ألفاً من الأعداء[٥].

أما نبيّ الله لوط، فقد تحدثت عنه التوراة حديثاً لا يليق بأقلّ خلق الله، فضلاً عن الحديث عن نبيّ من الأنبياء المعصومين. إن نبي الله لوط -عليه السلام- في نظر كتاب التوراة، ومن خلال سفرها الأول الذي يعدّ أفضل أسفارها، رجل زانٍ، وزانٍ بابنتيه بعد أن أسكرتاه، ومن هذا الزنا

المصحوب بالسكر انحدر جزء كبير من الإنسانية؛ لأن ابنتيه أشفقتا على مصير الإنسانية، فقرّرتا الزنا مع أبيهما نبي الله لوط عليه السلام؛ حتى لا ينقرض الجنس البشري، وهكذا تبرّر الغاية الوسيلة. تقول التوراة: «وصعد لوط من صوغر، وسكن في الجبل، وابنتاه معه؛ لأنه خاف أن يسكن في صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هل نسقي أبانا خمراً، ونضطجع معه، فنُحيي من أبينا نسلاً، فسَقَتا أباهما الخمر في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمراً الليلة أيضاً، فادخلي اضطجعي معه، فنحيي من أبينا نسلاً، فسَقَتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فحملت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابناً، ودعت اسمه مؤاب، وهو أبو المؤابيين إلى اليوم، والصغيرة أيضاً ولدت ابناً، ودعت اسمه بن عمي، وهو أبو بني عمون إلى اليوم»[٦].

ويعلّق فولتير على هذا النص بأسلوبه الساخر قائلاً: «ولكنها -أي: التوراة- تقول لنا: إن لوطاً اخترق عذرية ابنتيه دون أن يلحظ دخولهما عليه، أو خروجهما من عنده، بيد أنه يصعب كثيراً على الرجل أن يفضّ بكارة فتاة دون أن يعرف شيئاً عما فعل.. إنه حدث لا نستطيع أن نجد له تفسيراً!!. وليس مفهوماً أيضاً -والحديث لفولتير- فلو كان فعل ابنتي لوط خوفاً على مصير الإنسانية فإبراهيم كان قد أنجب إسماعيل من هاجر، والشعوب كانت منتشرةً في كل مكان، وصوغر التي خرجت منها الفتاتان كانت قريبةً، ومن أين حصلتا على الخمر إن لم يكن من الخمارات المحلية؟!».

ويشير فولتير إلى تشابه هذه القصة مع قصة ميرا، التي ولدت أدونيس من أبيها كينراس. لكن ميرا عُوقبت عقاباً صارماً على جريمتها هذه، بينما نالت ابنتا لوط مكافأةً عظيمةً من وجهة نظر اللاهوت؛ فقد أصبحتا والدتين لذرّية كثيرة[٧].

أليس هذا عجيباً من التوراة؟! أو بالتعبير الأصح: من كُتّاب التوراة الذين لا يجيدون فنّ تكييف الأقوال تكييفاً عقلانياً يمكن أن تشمّ فيه أيّ رائحة دينية؟!

الإساءة إلى داود وسليمان

تقدم لنا التوراة صفحات طويلة حافلة بالإساءات البالغة إلى عدد كبير من أنبياء الله، على رأسهم الأنبياء: إبراهيم، ولوط، وإسحاق، ويعقوب، وفي نهاية الشوط يأتي الدور على داود وسليمان عليهم جميعاً السلام!!.

ونقف هنا وقفةً عند حديث التوراة عن نبي الله داود الأوّاب المنيب، الذي أوتي الحكمة وفصل الخطاب كما يصوّره القرآن الكريم. كما نقف أيضاً عند نبي الله سليمان، الذي وصفه القرآن الكريم بأنه ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٣٠). ومع ذلك، فرصيده من الإساءة في التوراة لا يقلّ عن رصيد والده.

إن نبي الله داود -عليه السلام- موصوم في التوراة بالزنا والتآمر والقتل؛ فها هو ذا داود -كما تقول التوراة- يرسل قائده يوآب وجنوده، ومعهم جندي شهم عظيم يسمى أوريا، وجميع بني إسرائيل؛ ليحاربوا بني عمون. أما داود، فقد بقي

بعض أسفار العهد القديم كانت ذات تأثير سلبي مدمر للأخلاق الاجتماعية في الحياة الأوربية؛ لأنها ملأى بالمباذل الأخلاقية التي تصل إلى درجة الحثّ على الرذيلة

في أورشليم. وتقول التوراة: «وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره، وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحمّ، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً». المهم أن داود أرسل إليها، وأخذها، ودخل بها. «ثم رجعت إلى بيتها، وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود، وقالت: إني حبلى. فأرسل داود إلى يوآب يقول: إليّ أوريا الحثي، فأرسل يوآب أوريا إلى داود».

وتتابع التوراة حديثها فتقول: «وقال داود لأوريا: انزل إلى بيتك، واغسل رجليك. فخرج أوريا من بيت الملك، وخرجت وراءه حصة من عند الملك، ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيّده، ولم ينزل إلى بيته، فأخبروا داود قائلين: لم ينزل أوريا إلى بيته، فقال داود لأوريا: أما جئت من السفر، فلماذا لم تنزل إلى بيتك؟! فقال أوريا لداود: إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيدي يوآب وعبيد سيدي ينازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي؟! وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر!!. فيئس داود من التغطية على آثار جريمته مع المرأة. وفي الصباح كتب مكتوباً إلى يوآب، وأرسله بيد أوريا، وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه، فيُضرب ويموت!!». أي أن داود زنى، ثم دبّر قتل زوج المرأة التي زنى بها. «فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمّها إلى بيته، وصارت له امرأة، وولدت له ابناً. وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب»[٨].

والحقيقة أنه لا توجد صورة تجمع بين النقيضين مثل الصورة التي تقدمها لنا التوراة عن داود ملك اليهود القدير؛ فهو الشجاع، قاتل جالوت الجبار بمقلاعه دون سيف في يده[٩]. ولهذا يصبح مطارداً من الفلسطينيين، لكن سرعان ما يشاركه في محاربة عدو لهم، ويضع سيفه في خدمتهم ضد اليهود[١٠].

أما نبي الله سليمان بن داود، فقد كان طبيعياً -في نظر كتّاب التوراة- أن يكون خير خلف لخير سلف؛ أي: أن يكون شهوانياً ودموياً كأبيه داود. تقول التوراة في سفر الملوك الأول ما يأتي: «وأحب الملك سليمان نساءً غريبةً كثيرةً مع بنت فرعون: مؤابيات، وعمونيات، وأدوميات، وصيدونيات، وحثيات، من الأمم الذين قال عنهم الربّ لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم، وهم لا يدخلون إليكم؛ لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكان له سبعمئة من النساء السيدات، وثلاثمئة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه. وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الربّ إلهه كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشتورت إلهة الصيدونيين، وملكوم رجس بني عمون، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كنّ يوقدن ويذبحن لآلهتهن، فغضب الرب على سليمان؛ لأن قلبه مال عن الربّ إله إسرائيل، الذي تراءى له مرتين، وأوصاه في هذا الأمر ألاّ يتبع آلهةً أخرى، فلم يحفظ ما أوصى به الرب، فقال الرب لسليمان: من أجل أن ذلك عندك، ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها، فإني أمزّق المملكة عنك تمزيقاً، وأعطيها لعبدك»[١١].

وعندما يقترب داود من الموت يوصي ولده سليمان بأن يحدر بالدم إلى الهاوية شيبة (شمعي بن جيرا)، الذي كان قد لعن





الشرف عندهم في الكتب لا في الواقع

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: «لقد قرأتُ صوراً لحياة الأنبياء في التوراة، فوجدت نماذج غريبةً للسقوط والدنس، تتقزّز منها النفس. ونتساءل بعد مشاهدتها: هل يُلام الرعاع بعد ذلك على رذيلة؟!. إن كُتّاب هذه التواريخ تعمّدوا أن يلوّثوا حياة هؤلاء الرجال، وأن يلطّخوها بالأوحال. إن كتّاب العهد القديم مثال صادق لفكرة اليهود عن الأخلاق والقيم، والناس يتّهمون السياسي الإيطالي ميكيافيللي بأنه صاحب مبدأ (الغاية تبرّر الوسيلة)؛ فالحقّ أنه ينقل فكرته عن أسلوب العهد القديم في تنفيذ الأغراض بأيّ خطة، وأقصر طريق. أما الشرف، فشيء في الكتب لا في الواقع. ونحن المسلمين لا نصدّق حرفاً من هذا الإفك، ونصون سيرة الأنبياء عن هذا الدنس كله، ولكننا نلفت النظر إلى طبيعة المنهج الأخلاقي عند القوم، ومن يؤيدهم، ويشدّ أزرهم، ويحمي ظهورهم، ويدعم سياستهم. وفي العهد القديم تفصيل ما أوجزنا، ولما نسبه الرواة إلى المرسلين من إفك خسيس!!. إنهم جميعاً كذبة على الله ورسله، وما أحسب عيسى عندما ينزل إلا مقاتل هؤلاء جميعاً؛ حتى يطهّر الأرض من شركهم وإفكهم. إن التوراة النازلة على موسى اختفت مع تقلّب الزمان ببني إسرائيل، والذي بقي منها هو الميراث المشوب الذي طغى فيه كلام البشر على الوحي الحق»(*).

ومع ذلك، فهذا الكتاب المشوّه المبتور هو الذي يحكم عالم اليوم، ويفلسف كلّ إلحاد وانحلال ودمار وإبادة للبشرية. ومع ذلك، يرفعه ريجان -الرئيس الأمريكي الأسبق- بيديه، متمنياً أن يحكم العالم، ناسياً أنه يحكم فعلاً!!.

داود، وحاول حربه في الأردن. فنصح داود ابنه سليمان بألّا يقبل منه أيّ استسلام، وأن يحدر شيبته بالدم إلى الهاوية، وكانت هذه آخر كلمات داود، ثم اضطجع داود مع آبائه، ودفن في مدينة داود[١٢]. ونحن نجد في التوراة أن هارون -عليه السلام- هو الذي صنع العجل لبني إسرائيل، ثم أمرهم بعبادته[١٣].

حتى يعقوب عليه السلام، الذي يراه اليهود نبيهم الكبير، وإليه ينتسبون؛ فإنه لم ينجُ منهم؛ فقد زعموا أن نبوته أخذها من أخيه عيسو بحيلةٍ حينما خدع أباه إسحاق متواطئاً مع أمه، ومستغلاً عدم قدرة والده الأعمى على الإبصار!!.

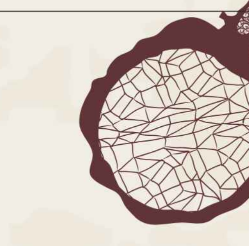


(*) صيحة تحذير من دعاة التنصير، ص٥٤- ٦٤، نشر دار الصحوة بالقاهرة.

آخر مقالة خصّ بها د. عبد الحليم عويس الفيصل قبل وفاته - رحمه الله - في ١٣ من المحرم ١٤٣٣ هـ - ٩ ديسمبر / كانون الأول ٢٠١١م

المراجع

١. سفر التثنية، الإصحاح السابع.
٢. صموئيل الأول، الإصحاح العاشر. وانظر أيضاً: كامل سعفان، دراسة في التوراة والإنجيل، ص٢٧، نشر دار الفضيلة، مصر.
٣. سفر الملوك الأول، الإصحاح الحادي عشر.
٤. سفر راعوث، الإصحاح الثالث.
٥. سفر إستير، الإصحاح التاسع.
٦. سفر التكوين، الإصحاح التاسع عشر.
٧. ليو تاكسيل، التوراة كتاب مقدّس أم جمع من الأساطير؟، ص١٠٣، ١٠٤، طبع ببيروت، ١٩٩٤م.
٨. صموئيل الثاني، الإصحاح الحادي عشر.
٩. صموئيل الأول، الإصحاح السابع عشر.
١٠. صموئيل الأول، الإصحاح التاسع والعشرون.
١١. الملوك الأول، الإصحاح الحادي عشر.
١٢. الملوك الأول، الإصحاح الثاني.
١٣. سفر الخروج: الإصحاح الثاني والثلاثون، ص١-٦.



كناشة التراث

سهل بن هارون

سهل بن هارون بن راهيون الدَّستميساني، أبو عمر. انتقل إلى البصرة، واتّصل بخدمة المأمون، وتولّى خزانة الحكمة له. وكان حكيماً فصيحاً شاعراً، فارسيّ الأصل، شعوبيّ المذهب، شديد التعصّب على العرب. وله مصنفات كثيرة تدلّ على بلاغته وحكمته؛ مثل كتاب (ثعلة وعفرة) على مثال (كليلة ودمنة)، وغير ذلك من الكتب.

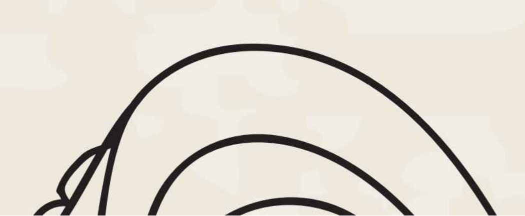
وكان نهايةً في البخل، وله فيه حكايات، قال دعبل: كنا عنده، فأطلنا القعود حتى كاد يموت جوعاً، ثم قال: ويحك يا غُلام! غدِّنا. فأُتي بقصعة فيها ديك مطبوخ، فتأمّله ثم قال: أين الرأس؟ قال: رميتُ به، فقال: والله إني لأمقت من يرمي برجليه، فكيف برأسه؟! ولو لم أكره ما صنعت إلا للطيرة والفأل لكرهته، أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء، ومنه يصدح الديك، ولولا صوته ما أريد، وفيه فرقه الذي يتبرّك به، وعينه التي يُضرب بها المثل في الصفاء فيُقال: شراب كعين الديك، ودماغه عجيب لوجع الكلية، ولم نرَ عظماً أهشّ تحت الأسنان منه. وهل ظننت أني لا آكله أن العيال (لا) يأكلونه، وإن كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله فعندنا من يأكله، أوما علمت أنه خير من طرف الجناح، ومن رأس العنق، انظر لي أين هو، فقال: والله ما أدري أين هو، ولا أين رميت به، فقال: أنا أدري أين رميت به، في بطنك قاتلك الله!.

وعمل كتاباً في البخل ومدحه، وبعثه إلى الحسن بن سهل يستمنحه، فوقّع إليه الحسن بن سهل: لقد مدحتَ ما ذمّ الله، وحسّنت ما قبّح، وما يقوم لفساد معناك صلاح لفظك، وقد جعلنا ثوابك قبول قولك، فما نعطيك شيئاً.

سبط ابن عبدالظاهر

شافع بن علي بن عباس بن إسماعيل بن عساكر الكناني العسقلاني المصري، سبط القاضي محيي الدين بن عبدالظاهر، الإمام الأديب ناصر الدين. وُلد سنة تسع وأربعين وستمئة، وتوفّي سنة ثلاث وثلاثين وسبعمئة.

كان يباشر الإنشاء بمصر زماناً إلى أن أضرّ؛ لأنه أصابه سهم في نوبة حمص الكبرى سنة ثمانين وستمئة في صدغه، فعمي وبقي ملازم بيته إلى أن توفّي، رحمه الله.



روى عن الشيخ جمال الدين بن مالك وغيره، وروى عنه الشيخ أثير الدين أبو حيان، والشيخ علم الدين البرزالي، وغيره من الطلبة، وله النظم الكثير، والنثر الكثير، وكتب المنسوب، وكان جمّاعة للكتب، خلّف ثمانية عشر خزانةً مملوءةً كتباً نفيسةً أدبيةً، وكانت زوجته تعرف ثمن كلّ كتاب، وبقيت تبيع منها إلى سنة تسع وثلاثين وسبعمئة. وكان إذا لمس الكتاب وجسّه قال: هذا الكتاب الفلاني، وملكته في الوقت الفلاني، وكان إذا أراد أيّ مجلد كان قام إلى خزانته، وتناوله كأنه الآن وضعه بيده.

فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر الكتبي (...- ٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، المجلد الثاني.

مكتشف الكنز

ومن استكْثَر من جمع الكتب وقراءة العلوم من غير إعمال الرَّوِيَّة فيما يقرؤُهُ كان خليقاً ألا يصيبه إلا ما أصاب الرجُل الذي زعمت العُلماء أنه اجتاز ببعض المفاوز(١)، فظهر له موضع آثار كنز، فجعل يَحْفر ويطلب، فَوقَع على شيءٍ من عَيْنٍ(٢) وَوَرِق(٣)، فقال في نفسه: إن أنا أخذتُ في نَقْلِ هذا المالَ قليلاً طالَ عليَّ، وقَطَعني(٤) الاشتغال بنقله وإحرازه(٥) عن اللذَّة بما أَصَبْتُ مِنْهُ. ولكن سأستأجر أقواماً يَحْمِلونَهُ إلى منزلي، وأكون أنا آخرهم، ولا يكون بَقِي ورائي شيء يُشْغَلُ فكري بنقله، وأكونُ قد استظهرتُ لنفسي في إراحة بَدَني عن الكدِّ بِيَسير أُجْرَةٍ أُعْطيها لهم. ثم جاء بالحمَّالين، فَجَعَلَ يُحَمِّلُ كُلَّ واحد منهم ما يُطيقُ فينطلق به إلى منزلِهِ هو، فيفُوز بِهِ، حتى إذا لَمْ يَبْقَ من الكنْز شيء انطلق خَلْفهم إلى منزله، فلم يجد فيه من المال شيئاً كثيراً ولا قليلاً، وإذا كلّ واحد من الحمالين قد فاز بما حَمَلَهُ لنفسه، ولم يكن للرَّجُلِ من ذلك إلا العَناءُ والتعبُ؛ لأنه لم يفكّر في آخر أمره.

كليلة ودمنة، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٨م، ص٤.

الهوامش

(١) المفاوز: جمع مفازة، وهي الفلاة؛ أي: الصحراء لا ماء فيها.

(٢) عين: نقود ذهبية.

(٣) وَرِق: نقود فضية.

(٤) قطعني: منعني.

(٥) إحرازه: حفظه.

مثل اللص المخدوع

قالَ: زعَمُوا أن تاجراً كان له في منزله خابيتان؛ إحداهما مملوءة حِنطة، والأخرى مملوءة ذهباً. فَترَقَّبَهُ بعض اللصوص زماناً، حتى إذا كانَ بعضُ الأيام تشاغَلَ التاجر عن المنزل، فتَغَفَّلَهُ اللصُّ(١)، ودخل المنزلَ، وَكَمَن في بَعْض نواحيه. فلما هَمَّ بأخذ الخابية التي فيها الدنانير أخذ التي فيها الحِنْطةُ، وظَنَّها التي فيها الذَّهَبُ، ولم يزل في كَدٍّ وتعبٍ حتى أتى بها منزله، فلما فَتَحها وَعَلِمَ ما فيها نَدِمَ.

قال له الخائن: ما أَبعدْتَ المَثَلَ، ولا تجاوزتَ القياس، وقد اعترفتُ بذنبي وخطئي عليك، وعزيز عليّ أن يكون هذا كهذا، غير أَنَّ النفس الرديئة تأمُرُ بالفحشاء(٢). فَقَبِلَ الرَّجُلُ مَعْذِرتَهُ، وأَضْرَب(٣) عن توبيخه، وعن الثقة بِهِ، ونَدِمَ هُوَ عندما عايَنَ مِن سُوءِ فعْلِه، وَتَقْديمِ جَهْلِه.

كليلة ودمنة، بيروت، المكتبة العصرية ٢٠٠٨م، ص٤٦، ٤٧.

الهوامش

(١) تغفّله: ترقّب غفلته.

(٢) الفحشاء: القبيح من الذنوب.

(٣) أضرب: أعرض.



ميادين صنعت تاريخاً

استطلاع



في حياتنا رجال صنعوا التاريخ، ومبانٍ وقفت شامخةً تجسد صورةً من صور الصمود. لكن العصر الحديث حمل لنا صورةً أخرى لصناعة التاريخ؛ إنها الميادين والساحات التي أبتْ إلا أن تشارك البشر والحجر في هذه الصناعة الزاهية.

سيد الجعفري

هيئة التحرير



من ميدان التحرير في مصر، الذي احتضن ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م، إلى الميدان الأحمر في روسيا حيث ألقت الجيوش النازية رايات هزيمتها على قدم ضريح لينين، إلى ميدان السماء في وسط العاصمة الصينية بكين عندما خرج مفكّرون وطلاب وأساتذة جامعيون، ومن ورائهم الشعب الصيني، في مظاهراتهم

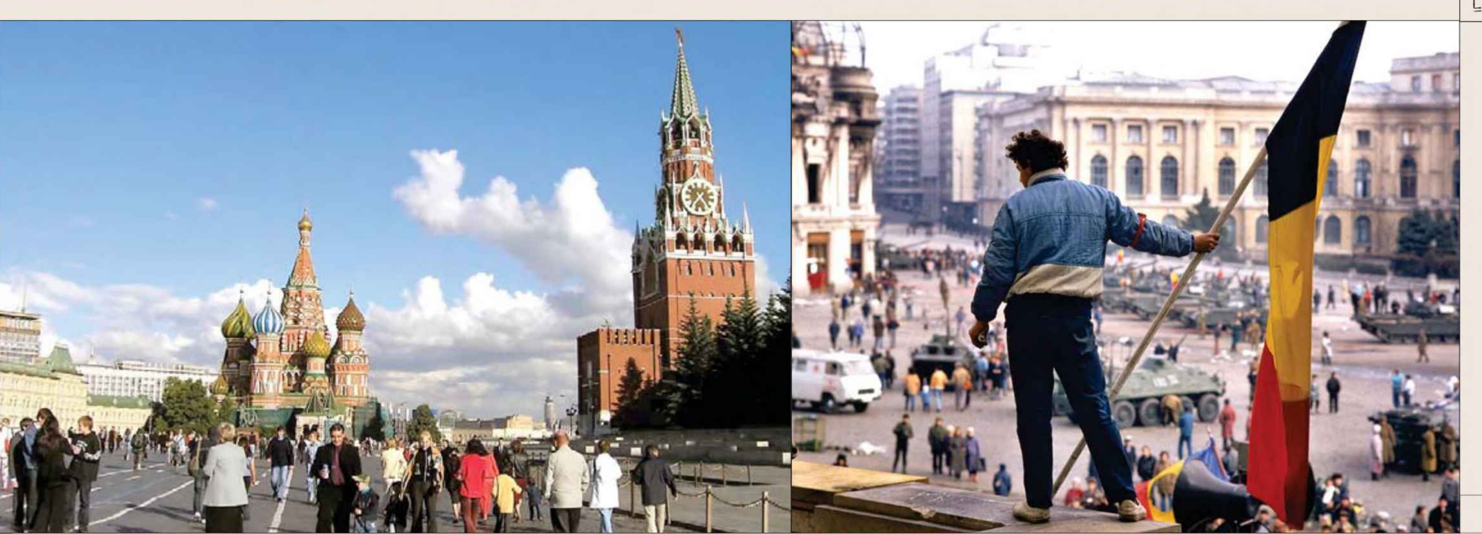
الشهيرة عام ١٩٨٩م، وغيرها من الميادين والساحات، تتجوّل معكم (الفيصل) لترصد قصةً حضاريةً جديدةً أطلّت علينا بها صفحات التاريخ الحديث.

ميدان التحرير المصري

غيّرت مصر وجهها أكثر من مرة، وظلّ ميدانها الأكبر -ميدان التحرير- على عهده، لم تُصبّه عوادي الدهر، ولا معاول التغيير، بل ظلّ شاهداً على عظمة الشعب المصري في العصر الحديث كما كانت أهرامات الجيزة شاهدةً على عظمته في العصور القديمة. تغيّر اسم الميدان ولم تتغيّر وظيفته؛ فقد احتضن أحداث مصر العظيمة، ومعها كثيراً من معالمها البارزة.

بدأ إنشاء ميدان التحرير في أواخر القرن التاسع عشر في عهد الخديوي إسماعيل (١٨٣٠- ١٨٩٥م)؛ حفيد محمد علي باشا، وخامس حكّام مصر من الأسرة العلوية، الذي حكمها من عام ١٨٦٣م حتى خلعته إنجلترا من على العرش عام ١٨٧٩م. وكان الخديوي إسماعيل خلال حكمه حريصاً على تحديث مصر، وكان اهتمامه بالجانب المعماري يفوق الوصف؛ فقد أراد أن يجعل القاهرة على غرار الطراز الأوربي، فقاد بنفسه خطةً كبيرةً لتطويرها وضعها المهندس الفرنسي هاوسمان، فأنشأ قصر عابدين وقصر القبة الشهيرين، وأنشأ دار الأوبرا، وكوبري قصر النيل. بدأت خطة الخديوي إسماعيل لتطوير القاهرة ببناء قصر عابدين مقراً لحكم مصر بدلاً من قلعة صلاح الدين الأيوبي، وأعاد تخطيط المنطقة المحيطة بالقصر، فردم مجموعة من البرك التي كانت أمام بوابته الرئيسة، وأنشأ شارعاً مواجهاً لتلك البوابة، أطلق عليه شارع الإسماعيلية، يمتدّ بطول نحو ١,٥ كيلومتر ينتهي بالميدان الذي عُرف وقتها باسم (ميدان الإسماعيلية)؛ نسبةً إلى الخديوي، ثم تغيّر الاسم إلى (ميدان التحرير)؛ نسبةً إلى تحرّر مصر من الاستعمار في ثورة سعد زغلول عام ١٩١٩م، ثم ترسّخ هذا الاسم رسمياً في ثورة الضباط الأحرار في يوليو عام ١٩٥٢م.

ويحاكي ميدان التحرير في تصميمه ميدان شارل ديجول في العاصمة الفرنسية باريس. وكان الميدان دائماً رمزاً وشاهداً على حرية الشعب المصري وصموده؛ فقد كان قبلةً ومركزاً لاحتجاجاته؛ إذ شهد عدة مواجهات بين المصريين وقوات الاحتلال البريطاني، ومواجهات المحتجين المصريين مع قوات الأمن في عهد الرئيس محمد أنور السادات يومي ١٨ و١٩ يناير عام ١٩٧٧م رداً على ارتفاع ثمن الخبز، فيما سُمِّي بـ(ثورة الخبز)، كما أبرز صورة مصر الحضارية في ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م؛ ليصبح هذا الميدان رمزاً لتلك الثورة.



الميدان الجمهوري في رومانيا شاهد على سقوط تشاوشيسكو

كل مبنى من مباني الميدان الأحمر الروسي أسطورة في حدّ ذاته

ولا تكاد تدخل ميدان التحرير حتى يخلبك سحره المعماري منذ الوهلة الأولى؛ فأحد مداخله هو كوبري قصر النيل الشهير؛ أول كوبري أنشئ في مصر لعبور نهر النيل، الذي يضمّ عند مدخليه الأُسُود الأربعة الشهيرة المصنوعة من البرونز. وقد بُدئ بإنشاء هذا الكوبري عام ١٨٦٩م في عهد الخديوي إسماعيل ليربط بين القاهرة والجزيرة، وقامت ببنائه شركة فرنسية، وأكملته في منتصف عام ١٨٧١م بطول ٤٠٦ أمتار، وعرض ١٠,٥ أمتار، وقد سُمِّي بهذا الاسم لوجود قصر كبير على النيل من جهة ميدان التحرير أنشأه محمد علي باشا لابنته زينب، وكان يُسمَّى قصر النيل، أصبح مكانه الآن مبنى جامعة الدول العربية وفندق النيل هيلتون. وبعد ٥٩ عاماً من إنشاء الكوبري تمّ عمل كوبري جديد مكانه يفي بحاجة النقل المتزايدة والحمولات الحديثة، ويتلاءم مع ما وصلت إليه القاهرة من عمران في عهد الملك فؤاد الأول، ووضع حجر أساسه في فبراير عام ١٩٣٢م، وأطلق عليه اسم (كوبري الخديوي إسماعيل) إحياءً لذكرى والده، وبلغ طوله ٣٨٢ متراً، وعرضه ٢٠ متراً، وافتتح في مارس عام ١٩٣٣م.

يضمّ ميدان التحرير مجموعةً من معالم القاهرة الشهيرة، منها: المتحف المصري الذي يضم أكبر مجموعة من آثار مصر القديمة، التي لا ينافسه فيها إلا المتحف البريطاني، ومتحف اللوفر في فرنسا، ومتحف متروبوليتان في نيويورك. ويقبع المتحف في مكانه بميدان التحرير بقلب القاهرة منذ عام ١٩٠٦م، ويحتوي معرضه على ١٣٦ ألف أثر فرعوني، إضافةً إلى مئات الآلاف من الآثار الموجودة في مخازنه، ومن أشهر مقتنيات المتحف مجموعة توت عنخ آمون. ويضم ميدان التحرير كذلك: مبنى جامعة الدول العربية، وهو أول مبنى تقوم الجامعة العربية بإنشائه مقراً لها في القاهرة، وتمّ افتتاحه عام ١٩٥٨م، وقصر وزارة الخارجية القديمة، وهو قصر الأميرة نعمة الله كمال الدين ابنة الخديوي توفيق بن إسماعيل باشا، وزوجة ابن السلطان حسين كامل شقيق الملك فؤاد الأول والد الملك فاروق آخر ملوك مصر. وقد بُني هذا القصر بجوار كوبري قصر النيل، وهو أحد أندر المباني القديمة القليلة الباقية في هذه البقعة التاريخية من القاهرة، ويتكوّن من ثلاثة طوابق. وقد أهدته الأميرة نعمة الله إلى وزارة الخارجية المصرية عام ١٩٣٠م؛ ليكون مقراً رسمياً جديداً لها. وواكب القصر بعض الأحداث المهمة؛ مثل: إبرام معاهدة عام ١٩٣٦م، ومفاوضات الجلاء عن مصر عام ١٩٥٤م، وحرب السويس عام ١٩٥٦م. كما يضم الميدان جامع عمر مكرم أحد أشهر مساجد القاهرة، الذي يحمل اسم الشيخ عمر مكرم، الذي قاوم الفرنسيين في ثورة القاهرة الثانية عام ١٨٠٠م، وكان له دور في تولية محمد علي باشا شؤون البلاد؛ إذ قام هو وكبار رجال الدين المسلمين بخلع خورشيد باشا في مايو عام ١٨٠٥م، وتولية محمد علي؛ ليبدأ تاريخ مصر الحديث. ولعمر مكرم تمثال شهير موجود أمام الجامع. كما يقف شامخاً في الميدان مجمع التحرير، وهو مجمع مصالح حكومية ضخم، صمّمه الدكتور المهندس محمد كمال إسماعيل، الذي كان من أهم أعماله الإشراف على توسعة الحرمين الشريفين في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله. وهو مجمع يضمّ عدداً كبيراً من المصالح الحكومية، وقد كثرت النداءات إلى تحويله إلى نشاط استثماري يتناسب مع طبيعة الميدان، كفندق مثلاً. وتقع تحت أرض الميدان محطة مترو السادات، وهي من أهم محطات مترو أنفاق القاهرة الكبرى، وتحمل اسم الرئيس المصري الأسبق محمد أنور السادات قائد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م، ويلتقي فيها الخطّان الأول والثاني من مترو الأنفاق.

ولا يقف سحر ميدان التحرير عند معماريته الفريدة

> **ما زال العالم يذكر طلبة الجامعات الإندونيسية وهم يحملون حقائبهم على ظهورهم في ساحة البرلمان بجاكرتا، ويتصدون بصدورهم لرصاص قوات سوهارتو**

الميدان معمارياً

الميدان أو الدوّار في الهندسة المعمارية هو حيّز جغرافي محدد داخل المدينة يمثّل نقطة التقاء عدد من الطرق، وتوجد غالباً في الميدان الرئيس لكلّ مدينة مبانيها المهمة كمقرّ الحكومة، وهو ما يزيد من أهمية موقعه. والميادين مساحات مفتوحة تُقام بها الاحتفالات الموسيقية، والأسواق المفتوحة، والاجتماعات والأنشطة السياسية، وإحياء المناسبات، وتحتوي عادةً على نافورة أو تمثال أو نصب تذكاري كبير في منتصفها.

وللميادين خصوصية ثقافية ومجتمعية في بعض البلدان، بعيداً من كونها ضرورةً هندسيةً للطرق؛ ففي إيطاليا مثلاً تعدّ الميادين متاحف مفتوحة تجتذب السياح من كل بقاع الأرض لمشاهدة التحف المعروضة في قلبها. وفي إسبانيا يعدّ الميدان أوبرا فنية؛ فهو ساحة تُعزف فيها الموسيقا للترفيه. وفي بريطانيا يقف الميدان شاهداً على عراقة التاريخ والعمارة.

ويعود الفضل في الإكثار من إقامة الميادين في الولايات المتحدة الأمريكية إلى جوزيف سميث، الذي ظلّ يؤكّد أن فكرة الميدان تعود إلى نبي الله موسى عليه السلام عندما أراد أن يجمع قبائل بني إسرائيل في مكان واحد ليتعارفوا. ثم استخدم الحكام الميادين في عهود الإغريق والرومان لتوديع الجيوش عند خروجها للقتال، واستقبالها بالاحتفالات وهالات النصر عند عودتهم منتصرين. كما استخدم بعض الناس في ثقافات وعـ... وأحاطوها بهالات التقديس، أو جعلوها ... ومصارعة الثيران. واستخدمت ميادير... لترهيب الشعوب، فأقاموا فيها المشانق ... أياماً لجلد المواطنين ورجمهم وتعذيبهم...

فحسب، بل يتعدّى ذلك لينشر جاذبيته على المكان من حوله؛ فهو يعدّ من الميادين القليلة في القاهرة ذات التخطيط الجيد الفريد؛ إذ يتفرّع منه على شكل شعاع عدد كبير من أهم شوارع العاصمة المصرية القاهرة وميادينها؛ منها: شارع البستان الذي يُوجد فيه أهم مراكز التسوّق في وسط القاهرة وعدد من البنوك ومؤسسات الدولة؛ مثل وكالة أنباء الشرق الأوسط، وشارع القصر العيني الذي يضمّ مقرّات تسع وزارات مصرية ومجلسي الشعب والشورى، وشارع طلعت حرب، وشارع شامبليون، وشارع قصر النيل، وشارع الفلكي، وميادين طلعت حرب والشهيد عبدالمنعم رياض ومحمد



ميدان السماء الصيني أكبر ميادين العالم مساحةً

ساحة التغيير اليمنية مستقرّ المعارضين طوال أيام الثورة اليمنية



فريد. بل أضفى الميدان سحره على المصريين أنفسهم، فبعد أن احتشدوا فيه طوال ثمانية عشر يوماً، هي مدة ثورتهم التي هزّت العالم، راحوا يبهرون الدنيا كلها بمشهدهم الساحر وهم ينظّفون ميدانهم، ويُزيلون التراب الذي راكمته الأيام على أسوده القابعة عند مدخله، حتى قالت عنهم محطة الـ(سي إن إن) الأمريكية: «أول مرة في التاريخ نرى شعباً يقوم بثورة ثم ينظّف الشوارع بعدها». وتقلّد الميدان بعدها المركز الأول بين أهم الساحات الاحتجاجية في العالم حسب تقرير مجلة (تايم) الأمريكية؛ ليحظى بعدها الميدان بحرص عدد من سياسيي العالم على زيارته والترجّل فيه خلال زياراتهم القاهرة، منهم: هيلاري كلينتون وزيرة الخارجية الأمريكية، وكاترين آشتون وزيرة خارجية الاتحاد الأوربي، ودفيد كاميرون رئيس وزراء بريطانيا؛ حتى صنّفته صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية ضمن عجائب مصر الجديدة.

الميدان الجمهوري في رومانيا

كان الميدان الجمهوري في رومانيا، أو ميدان الثورة الآن، شاهداً على الإطاحة بالدكتاتور الشهير تشاوشيسكو بعد أن شهد أنهار دماء حقيقية لم تعرفها الثورات الحديثة قبله؛ إذ تجمع ليلة ١١ ديسمبر عام ١٩٨٩م مئات الآلاف في الميدان، وحاصروا البرلمان الذي كان ينوي تشاوشيسكو إلقاء كلمة فيه أمام نوّاب الشعب في محاولة منه للالتفاف على الثورة، وصعد تشاوشيسكو إلى شرفة اللجنة المركزية المطلة على الميدان لإلقاء خطبته في ليلة قارصة البرودة، وإذا صرخة مدوّية: (يسقط تشاوشيسكو)، تردّدها مئات الآلاف من المعتصمين في الميدان، ليفتح القناصة رصاصهم الحي على المتظاهرين من فوق أسطح البنايات المجاورة، ويسقط المئات من المتظاهرين، ويهرب الدكتاتور وزوجته بطائرة مروحية، وتتم مطاردته ثلاثة أيام إلى أن يسقط في أيدي الثوار، وتتم محاكمته ثم إعدامه عن طريق محكمة شعبية قام بتشكيلها الثوار؛ ليتحول اسم الميدان من الميدان الجمهوري في قلب العاصمة بوخارست إلى ميدان الثورة.

الميدان الأحمر في موسكو

الميدان الأحمر أو الساحة الحمراء (بالروسية: كراسنيا بلوشتشاد) هي الساحة الأكثر شهرةً في موسكو، وهي على شكل مستطيل، طوله نحو ٣٣٠ متراً، وعرضه ٧٠ متراً، يفصل الكرملين -القلعة الملكية السابقة، والمقرّ الرسمي لرئيس روسيا حالياً- عن ربع تجاري تاريخي معروف بكيتاي جورود. وتشعّ شوارع موسكو الرئيسة من هذه الساحة في جميع الاتجاهات، وإلى الطرق السريعة الرئيسة خارج المدينة. ويُعدّ الميدان الأحمر الميدان المركزي لموسكو وكلّ روسيا.

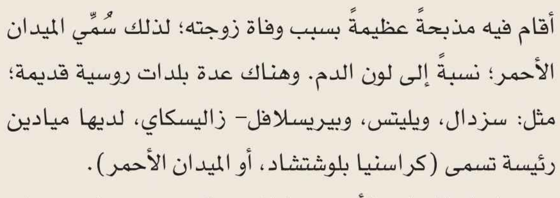
كانت الأرض التي حُدِّد عليها هذا الميدان تُغطّى أصلاً بالمباني الخشبية، قبل أن يزيلها عنها إيفان الثالث عام ١٤٩٣م؛ إذ كانت تلك المباني عرضةً للحرائق. وكان هذا الميدان يُستخدم للمراسم والإعلانات العامة المختلفة، وكان يُستخدم أحياناً موقعاً لحفل تتويج قياصرة روسيا.

لم يُشتقّ اسم الميدان الأحمر من لون الطوب حوله، أو من الرابطة بين اللون الأحمر والشيوعية، إنما يُعتقد أن التسمية تعود إلى كون الكلمة الروسية (كراسنيا) تعني أحمر أو جميلاً، والمعنى الثاني قديم. وكانت هذه الكلمة (كراسنيا بمعنى جميل) تطلق أصلاً على كاتدرائية القديس باسل، ثم نُقلت لاحقاً إلى الميدان المجاور. ويُعتقد أن الميدان حصل على اسمه الحالي في القرن السابع عشر، ويُقال: إن سبب التسمية أن إيفان الرابع

ميدانا الباستيل والكونكورد أشهر ميادين العاصمة الفرنسية باريس، يتوسط الأول عمود تخليداً لضحايا الثورة الفرنسية، وتتوسط الثاني مسلّة مصرية أهداها الخديوي إسماعيل إلى لويس فيليب عام ١٨٣١م

يحاكي ميدان التحرير المصري في تصميمه ميدان شارل ديجول في العاصمة الفرنسية باريس، وظلّ دائماً رمزاً وشاهداً على حرية الشعب المصري وصموده


ساحات تونس أطلقت شرارة الربيع العربي



أقام فيه مذبحةً عظيمةً بسبب وفاة زوجته؛ لذلك سُمِّي الميدان الأحمر؛ نسبةً إلى لون الدم. وهناك عدة بلدات روسية قديمة؛ مثل: سزدال، ويليتس، وبيريسلافل- زاليسكاي، لديها ميادين رئيسة تسمى (كراسنيا بلوشتشاد، أو الميدان الأحمر).

حافظ الميدان الأحمر في العهد السوفييتي على مغزاه، وأصبح الميدان الرئيس في الدولة الجديدة، إضافةً إلى أنه المقرّ الرسمي للحكومة السوفييتية. كما اشتهر الميدان بوصفه مكاناً للعروض العسكرية؛ لذا أُزيلت كاتدرائية كازان والكنيسة الصغيرة لإيفيرسكيا لإتاحة المكان لمرور المركبات العسكرية الثقيلة قبل أن يُعاد بناؤهما مرةً أخرى بعد سقوط الاتحاد السوفييتي. ويُقال: إن لازار كاجانوفيتش -مساعد ستالين، ومدير خطة إعادة بناء موسكو- قد أعدّ نموذجاً خاصاً للميدان الأحمر بعد إزالة الكاتدرائية، وأحضره إلى ستالين؛ ليبرهن أن الكاتدرائية تمثل عقبةً أمام المواكب والمرور، لكن

ستالين اعترض على هذا المشروع.

شهد الميدان اثنين من أكبر العروض العسكرية في تاريخ روسيا: الأول عام ١٩٤١م عندما حاصر الألمان موسكو، فخرجت منه الجيوش الروسية إلى جبهات القتال، والثاني موكب النصر عام ١٩٤٥م عندما أُلقيت رايات الجيوش النازية المهزومة على قدم ضريح لينين. وفي عام ١٩٩٠م ضمّت اليونسكو الكرملين والميدان الأحمر إلى قائمة التراث العالمي.

ويستخدم الميدان الأحمر في السنوات الأخيرة مكاناً لتنظيم الحفلات الموسيقية البارزة، ومن المشاهير الذين غنّوا فيه: شاكيرا، وبول مكارتني، وبينك فلويد، وديانا لاريونوف، وآخرون كثيرون. وفي يناير عام ٢٠٠٨م أعلنت روسيا استئناف استعراض المركبات العسكرية على أرض الميدان، وأجرت في مايو عام ٢٠٠٨م عرض يوم النصر السنوي الخاصّ بها، الذي يوافق الذكرى السنوية لهزيمة ألمانيا النازية الـ٦٣ في الحرب العالمية الثانية؛ لتستعرض المركبات العسكرية الروسية في الميدان للمرة الأولى منذ انهيار الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م.

وكلّ مبنى من مباني الميدان الأحمر أسطورة في حد ذاته؛ ففي الميدان ضريح فلاديمير إيليتش لنين -مؤسّس الاتحاد السوفييتي- حيث تُعرض جثته المحنطة. وفيه أيضاً كاتدرائية باسل القديس ذات القبة التساعية المعقّدة، إضافةً إلى قصور الكرملين وكاتدرائياته. وعلى الجانب الشرقي للميدان يوجد المركز التجاري، وبجواره كاتدرائية كازان. ويحتلّ الجانب الشمالي من الميدان متحف الدولة التاريخي، وفي الشمال الغربي توجد البوابة والكنيسة الصغيرة الإسبانيتان اللتان أُعيد بناؤهما. أما الأثر المجسّم الوحيد على أرض الميدان، فهو تمثال برونزي لكزما مينين ودميتري بوزهارسكاي، اللذين ساعدا على تطهير موسكو من الغزاة البولنديين في عام ١٦١٢م. وبجواره ما يسمى بلوبنوي ميستو، وهو منصة دائرية تشهد دائماً المراسم العامة.

ميدان السماء الصيني

تقع ساحة تيان آن مَن، أو ميدان السماء، في وسط العاصمة الصينية بكين، وتبلغ مساحتها ٤٤٠ ألف متر مربع، وهي أكبر ميدان من حيث المساحة في العالم.

بُني الميدان أول مرة عام ١٤١٧م، وسُمّي (تشينتيان مَن)، ويعني بوابة التعاقب السماوي، وكان مُخصّصاً للمناسبات الرسمية بوصفه جزءاً من المدينة الإمبراطورية. وفي نهاية أسرة مينغ الملكية، تعرّض هذا الميدان لدمار كبير بسبب الحرب، ثم أُعيد بناؤه عام ١٦٥١م في عهد أسرة تشينغ الملكية، وأُطلق عليه اسم (تيان آن مَن)، وعُدّ بوابة الدخول الرئيسة للمدينة الإمبراطورية التي كانت المقرّ الرسمي للأعمال الحكومية، ومقرّ سكن الإمبراطور والمسؤولين الرئيسين في الحكومة وحاشيتهم، وما زالت الأجزاء الجنوبية لسور المدينة قائمةً حتى الآن على جانبي البوابة.

سقف المنصة باللون الذهبي، وحائطها باللون الأحمر، ويضمّ منتصف الميدان النصب التذكاري لأبطال الشعب، أما في شرقه فيقبع متحف الثورة، وفي غربه يقع المتحف التاريخي وقاعة الشعب الكبرى.

في ١ أكتوبر عام ١٩٤٩م وقف الزعيم الصيني الراحل ماو تسي تونغ على منصة هذا الميدان، وأعلن قيام جمهورية الصين الشعبية، ومنذ ذلك الحين أصبح الميدان رمزاً للصين الجديدة؛ لذا يحتضن حالياً في موقع بارز منه صورةً كبيرةً للزعيم ماو، ويُرفع فيه شعار (لتعش الوحدة الكبرى لشعوب العالم). وفي عام ١٩٨٨م فُتحت منصة الميدان أمام الناس أول مرة، وأصبحت مكاناً رائعاً يمكن للواقف فوقه أن يرى منظراً واسعاً ورائعاً للميدان وما يجاوره من مدينة بكين، ويجذب هذا الميدان حالياً ملايين الزوار من كل أنحاء العالم.

ساحة التغيير هو الاسم الذي أطلقه المحتجون المعارضون لنظام الرئيس اليمني علي عبدالله صالح على ساحة الحكمة المقابلة لبوابة جامعة صنعاء أمام مجسم تمثال الحكمة اليمنية

وفي الجزء الشمالي من الميدان ساحة واسعة جداً تبلغ مساحتها ٤٤ هكتاراً، وتتّسع لنحو مليون شخص، تُقام فيها الاحتفالات والتجمعات العامة. وجرت في هذه الساحة مظاهرات ساحة تيان آن مَن الشهيرة عام ١٩٨٩م، وهي من كبرى المظاهرات الطلابية والعمالية والجماهيرية وأشهرها في العصر الحديث، بدأت مقدماتها حين قام دينج تسياو بنج بإصلاحات اقتصادية وسياسية للتحول تدريجياً إلى اقتصاد السوق، مع قليل من التحرّر السياسي، لكن هذه الإصلاحات المحدودة لم تلبِّ طموحات الجماهير المتعطشة إلى تغيير حقيقي، وأعربوا عن استيائهم لسيطرة الحزب الحاكم. ثم كانت وفاة النائب العام هو ياو بانج، الذي تمّ عزله في فبراير عام ١٩٨٧م، إيذاناً للصينيين بأن يعبّروا عن استيائهم في شكل تكريم له، وإحياء لذكراه. وبدأت الشرارة الأولى للمظاهرة الضخمة في ١٥ إبريل عام ١٩٨٩م، وشارك فيها مفكّرون وطلاب وأساتذة جامعيون، وتطوّرت من كونها تكريماً لـ(هو ياو بانج)، الذي طالما نادى بالديمقراطية، إلى مظاهرات تنادي بالديمقراطية ذاتها، وتندد بالفساد، وتطالب بحرية الصحافة، وإنهاء حكم الحزب الشيوعي. وانضم عمال من أرجاء الصين إلى المظاهرات، ودعمها قطاع كبير من الشعب، وصارت مظاهرةً مليونيةً، فضلاً عن مظاهرات أخرى اندلعت في مدن صينية أخرى، أمدّت بكين بكثير من طلابها وعمالها للمشاركة في مظاهراتها. وتوقّع أعضاء الحزب الحاكم أن إجراء إصلاحات شكلية سيرضي المتظاهرين، وحاولوا إقناع الطلاب بإنهاء المظاهرات، إلا أنهم لم يفلحوا. وفضّل الأمين العام للحزب الشيوعي تساو تسيانج التعامل بلطف مع المتظاهرين، بينما فضّل رئيس الوزراء لي بينج القمع، واتخذ قرار القمع مجموعة من أعضاء الحزب الشيوعي الحاكم، وأعلنوا في ٢٠ مايو القوانين العسكرية، لكن ذلك لم يُرهب المتظاهرين الذين استمروا في مظاهراتهم بدعم شعبي كبير، قبل أن تضع الحكومة الصينية نهايةً لهذه الاحتجاجات باقتحام قوات جيش التحرير الشعبي الصيني وعرباته الساحة عنوةً في ٤ يونيو؛ لتندلع المواجهات، ويسقط مئات القتلى، ويتم إخلاء الساحة بالقوة، وتتعرض بعدها الحكومة الصينية لانتقادات كبيرة من جميع أنحاء العالم، ويتم فرض عقوبات عليها.

الهايد بارك

إذا كان ميدان بيكاديللي، الذي بُني عام ١٨١٩م، هو أحد أشهر ميادين لندن في ويست إند في ويستمنستر، ويقصده السياح من كلّ مكان؛ فإن الهايد البارك Hyde Park تظلّ هي الساحة الشهيرة من حيث الفعاليات السياسية في عاصمة الضباب لندن، وهي من كبرى الحدائق الموجودة بها، وإحدى الحدائق الملكية فيها. وتضم الهايد بارك بحيرةً كبيرةً، ومجموعةً من النوافير، وتشتهر بوجود ما يُسمَّى محلياً سبيكرز كورنر (Speakers Corner)، التي تعني زاوية المتحدثين، وتقع في القسم الشمالي الشرقي منه، وهي المكان الذي يجتمع فيه المتحدثون كلّ يوم أحد لإلقاء كلمة أو محاورة حول موضوع ما بكلّ حرية. والهايد بارك هي واحدة من أروع المناظر الطبيعية التاريخية؛ إذ تشمل على ١٤٢ هكتاراً (٣٥٠ فداناً)، وبه أكثر من ٤٠٠٠ شجرة، وهو من الأمكنة المحبّبة لأهل لندن وزوّارها. وتفتح الحديقة أبوابها من الخامسة صباحاً حتى منتصف الليل على مدار السنة.



حول ثوار أوكرانيا ثلوج ميدان الاستقلال إلى صيف حار، فنصبوا خيامهم وزوّدوها بنظام جيد للتدفئة، وربطوها بإذاعة داخلية للتوعية والسيطرة

ساحة التغيير وميدان التحرير في صنعاء

ساحة التغيير هو الاسم الذي أطلقه المحتجّون المعارضون لنظام الرئيس اليمني علي عبدالله صالح على ساحة الحكمة المقابلة لبوابة جامعة صنعاء أمام مجسّم تمثال الحكمة اليمنية، أو جولة الجامعة الجديدة كما كان تُسمَّى قبل أن يتخذوها مكاناً لاعتصامهم وانطلاق مظاهراتهم ضد النظام خلال ثورتهم التي اندلعت مطلع عام ٢٠١١م. فقد قام المؤيدون للرئيس في بداية اندلاع هذه الثورة باحتلال ميدان التحرير في صنعاء؛ خوفاً من أن يقوم المتظاهرون بالاعتصام فيه، وتكرار سيناريو ميدان التحرير في القاهرة الذي أطاح بالرئيس المصري محمد حسني مبارك، فقرّر الثوار اختيار ساحة الحكمة المقابلة لبوابة جامعة صنعاء مكاناً لاعتصامهم، وأطلقوا عليها اسم (ساحة التغيير)، فاصطفّت الخيام الصغيرة على امتدادها غرباً على طول المسافة حتى بوابة الجامعة الجديدة، وشرقاً باتجاه شارع العدل، وشمالاً إلى شارع الخط الدائري الشهير في العاصمة اليمنية، الذي يمتدّ إلى بوابة الكتيبة الأولى المدرعة التابعة للجيش اليمني، وجامعة العلوم والتكنولوجيا. ومن أبرز معالم ساحة التغيير مسجد جامعة صنعاء، الذي يؤدي داخله وحوله آلاف المحتجين صلاة الجمعة، ويتخذونه مستشفى ميدانياً لعلاج المصابين في الاحتجاجات، ومركزاً للدعم والتموين. وتتميّز الساحة بكثافتها السكانية المرتفعة، ووقوعها أمام الجامعة أهم صرح علمي في صنعاء، ومجاورتها أهم المحال التجارية في سوق العاصمة اليمنية. ويتوسط الساحة نصب تذكاري مزيّن بالحديث النبوي الشريف: «الإيمان يمانٍ، والحكمة يمانية».

في مقابل ساحة التغيير، التي اتّخذها المعارضون لنظام الرئيس اليمني علي عبدالله صالح مكاناً لاعتصامهم، اتّخذ المؤيدون للرئيس ميدان التحرير -مركز العاصمة اليمنية صنعاء- مكاناً لاعتصامهم، وهو من كبرى الساحات العامة في صنعاء وأهمها. ويقع الميدان في الساحة العامة الرئيسة بالمدينة، وهو نقطة التقاء اثنين من المناطق الحضرية الكبرى في صنعاء؛ لذلك يتميّز بوجود عدد من المطاعم ومحلات التسوق فيه، كما يضم نافورةً رائعةً. ويعدّ هذا الميدان مكان استجمام شعبياً لسكان الأحياء المحيطة، إضافةً إلى أنه يعدّ مصباً ثقافياً؛ إذ يضم ثلاثة متاحف كبرى. ويصبح هذا الميدان حيوياً جداً في صباح يوم الجمعة عندما يزخر بالسكان المحليين الذين يأتون لقضاء وقت ممتع، والدردشة في الساحة. وتضم ساحة الميدان أكشاكاً مؤقتة لبيع الكتب والأطعمة، ويمكنك أن تستقلّ من الميدان حافلةً عامةً إلى أيّ مكان في صنعاء بعد استكشاف الثروة الثقافية الموجودة فيه.

لكن تنبع أهمية ميدان التحرير من أنه المكان الذي انطلقت منه شرارة ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م على أيدي مجموعة من الضباط والجنود الذين كانت لديهم دبابة واحدة تُسمَّى (مارد الثورة)، قامت بدكّ دار البشائر (بيت الإمام)، وبعدها جاءت ثورة ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣م تتويجاً لنضال الشعب اليمني شمالاً وجنوباً كي تساند الثورة الأم وتنصرها.

ساحة التحرير في بغداد

ساحة التحرير هي إحدى الساحات الرئيسة في وسط مركز بغداد عاصمة العراق التي تقع في منطقة الباب الشرقي. ويزيّن الجانب الشرقي منها نصب كبير يُعرف بتمثال الحرية، نفّذه النحات العراقي جواد سليم، وتطلّ واجهته على الساحة. وفي الجانب الغربي من الساحة يقع جسر الجمهورية، المشيّد على نهر دجلة، الذي كان يُسمَّى جسر الملكة عالية زوجة غازي بن فيصل بن الحسين ووالدة الملك فيصل الثاني. وفي الجانب الشرقي من الساحة تقع حديقة الأمة حيث تمثال (الأم) للفنان خالد الرحال، الذي يعدّ تحفةً فنيةً رائعة التصميم بانسجام

> الميدان الأحمر أو الساحة الحمراء هي الساحة الأكثر شهرةً في موسكو، وهي على شكل مستطيل تشع منه شوارع موسكو الرئيسة

ميدان الاستقلال أنقذ أوكرانيا من الفساد

ساحة البرلمان في جاكرتا سجّلت تاريخاً حديثاً لإندونيسيا



حركات الجسد، وانسيابية السطح، ودقة التفاصيل، قبل أن يسلب الاهتمام البصري منه تمثال الحرية. كما تشكّل ساحة الطيران -من جهة الشرق أيضاً- امتداداً لساحة التحرير، مع أنها أقدم منها. وتتميّز الساحة بأنها موطن مسائي وصباحي للعربات المتلئة بالأكلات الشعبية حيث يتجمع العمال والمقاولون فيها للاتفاق على العمل اليومي. وفي الجانب الشمالي شارع الجمهورية الذي كان يُسمَّى شارع الملك غازي، ويوازي شارع الرشيد، وهو شريان تجاري صناعي نقدي كبير، تتركّز فيه أهم عمارة بغداد الحديثة. وفي الجانب الجنوبي شارع السعدون، الذي يضم أهم مكتبات بغداد: مكتبة المثنى، ومكتبة التحرير، والمكتبة العالمية، ومكتبة النهضة. وكذلك شارع أبي نواس الذي يتوسّطه تمثاله الشهير.

ويحظى تمثال الحرية المطلّ على ساحة التحرير بمكانة كبيرة لدى العراقيين عامةً، والبغداديين خاصةً. ويعود الفضل في تشييد التمثال إلى الفنان جواد سليم، الذي وُلد في أنقرة لأبوين عراقيين،

وتوفي عام ١٩٦١م بالسكتة القلبية تحت ضغط الجهد المتواصل الذي عاناه في إنجاز المشروع، وتوفي قبل أشهر من رفع الستار عن تمثاله وهو يتوسط بغداد. ويعدّ هذا التمثال من التماثيل النادرة التي استطاعت الصمود أمام حملة التدمير التي لحقت بتماثيل العراق بعد الغزو الأمريكي عام ٢٠٠٣م، ولعل ما شفع لهذا التمثال هو أنه لم يُحسب على أيّ جهة سياسية أو طائفية، ولم يُثِر حقد أحد أو غضبه؛ لأنه يؤكد انتماء جميع العراقيين إلى وطنهم، بغضّ النظر عن الاختلافات الدينية والعرقية والسياسية، ويعبّر عن انتصار إرادة الشعب، وسقوط الملكية، وإنهاء الوجود البريطاني. ويتألف تمثال الحرية من ١٤ قطعة برونزية، تروي كلّ منها قصة تتعلق بتاريخ العراق عبر ثلاث مراحل: قصة ما قبل الثورة التي تصوّر معاناة الإنسان الكادح والظلم في العراق وبزوغ الأمل، والثانية يوم الثورة عن السجين السياسي الذي يحاول كسر قضبان السجن، والقطعة الشهيرة التي ترمز إلى الجندي وتمزيقه القيود، والثالثة بعد الثورة تحكي ازدهار العراق والحرية والتعايش المشترك بين العرب والأكراد.

أصبحت الساحة بعد سقوط العهد الملكي في ١٤ يوليو ١٩٥٨م رمزاً للتحرير؛ فسُمِّيت باسم ساحة التحرير تيمّناً بهذه الحرية، قبل أن يزيد حضورها في ذاكرة الناس والمجتمع والعمران عندما أصبحت مكاناً لتمثال الحرية. وشهدت الساحة احتجاجات كثيرة، منها احتجاج مارس ٢٠٠٣م على الحرب في العراق، ومن الاحتجاجات التي شهدتها ساحة التحرير العراقية احتجاجات ٢٥ فبراير الماضي ضد سياسات حكومة نوري المالكي والقوات الأمنية في جمعة الغضب، التي دعا إليها شباب الـ(فيس بوك)، مردّدين تحت نصب الحرية هتافات اتهمت الحكومة بالتقصير في أداء واجباتها. كما شهدت الساحة أهم أحداث بغداد السياسية الشعبية والرسمية؛ كاحتفالات أعياد ثورة ١٩٥٨م، وفيها خطب الملوك والوزراء والحكام العسكريون، وقادة الأحزاب وممثلو طبقات المجتمع، وكذلك الدبلوماسيون الأجانب.

الباستيل والكونكورد في باريس

يعدّ ميدان الباستيل أشهر ميادين العاصمة الفرنسية باريس، ويتوسطه عمود الباستيل الذي تمّت إقامته تخليداً لضحايا ثورة ١٨٣٠م، وتحيط به أحدث أوبرا فرنسية، وتمرّ بالقرب منه قناة سان مراتان. ارتبط الميدان ارتباطاً وثيقاً بسجن الباستيل الذي أُنشئ في فرنسا بين عامي ١٣٧٠ و١٣٨٣م حصناً للدفاع عن باريس، ثم تحوّل إلى سجن للمعارضين السياسيين والمسجونين الدينيين والمحرّضين ضد الدولة، وأصبح السجن على مدار السنين رمزاً للطغيان والظلم، وانطلقت منه الشرارة الأولى للثورة الفرنسية في ١٤ يوليو عام ١٧٨٩م. وما زالت فرنسا حتى اليوم تحتفل بمناسبة اقتحام السجن في الرابع عشر من يوليو من كل عام، بوصفه اليوم الوطني لفرنسا، وذكرى انتهاء حقبة طويلة من الحكم المطلق. كان اسم السجن الأصلي هو الباستيد La Bastide، وليس الباستيل، وتعني (الحصن) باللغة الفرنسية. ولم يكن الباستيل حتى قبل سقوطه في يد الثوار حصناً للدفاع بقدر ما كان قلعةً للطغيان، وسجناً للتعذيب، وهي وجهة النظر الرسمية في فرنسا منذ عام ١٨٨٠م عندما أُعلن ١٤ يوليو عيداً قومياً للحرية في فرنسا. ولم يصبح الباستيل قصراً إلا في عهد لويس الرابع عشر حين أصدر

ميدان الباستيل أحد أشهر ميادين فرنسا

كان ميدان الثورة في رومانيا، شاهداً على الإطاحة بالدكتاتور الشهير تشاوشيسكو بعد أن شهد أنهار دماء حقيقية لم تعرفها الثورات الحديثة قبله

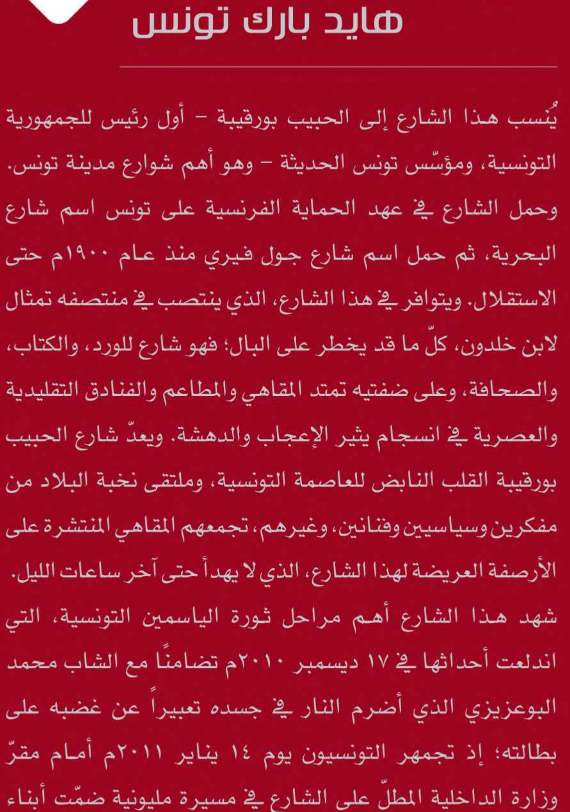


شارع بورقيبة العتيق في تونس

عام ١٦٦٧م أمراً ملكياً لقومندان الباستيل بجعله أحد القصور الملكية، وأمره بموجب هذا أن يطلق المدافع ابتهاجاً بمولد ابنته. وفي عهد لويس الخامس عشر كان الباستيل يُطلق المدافع تحيةً للملك عند دخوله باريس وخروجه منها.

كما يعدّ ميدان الكونكورد Place de la Concorde من أكبر ميادين عاصمة النور الفرنسية باريس، ويقع في قلبها في نهاية شارع الشانزلزيه من ناحيته الشرقية. وتزيّنه مسلّة مصرية ضخمة عليها إهداء من الخديوي إسماعيل للويس فيليب عام ١٨٣١م. وقد أهدت مصر فرنسا مسلتين من مسلات الملك رمسيس الثاني في معبد الأقصر بعد أن قام الفرنسيون بجهود كبيرة في الكشف عن أسرار الحضارة المصرية القديمة.

صمّم الميدان جيمس موت عام ١٧٥٥م. وكان الميدان اسمه في الأصل ميدان لويس الخامس عشر، وكان يوجد به تمثال له. وبعد قيام الثورة، وتحوّل فرنسا إلى جمهورية، نُقل التمثال،



شارع بورقيبة..
هايد بارك تونس

يُنسب هذا الشارع إلى الحبيب بورقيبة - أول رئيس للجمهورية التونسية، ومؤسّس تونس الحديثة - وهو أهم شوارع مدينة تونس. وحمل الشارع في عهد الحماية الفرنسية على تونس اسم شارع البحرية، ثم حمل اسم شارع جول فيري منذ عام ١٩٠٠م حتى الاستقلال. ويتوافر في هذا الشارع، الذي ينتصب في منتصفه تمثال لابن خلدون، كلّ ما قد يخطر على البال؛ فهو شارع للورد، والكتاب، والصحافة. وعلى ضفتيه تمتد المقاهي والمطاعم والفنادق التقليدية والعصرية في انسجام يثير الإعجاب والدهشة. ويعدّ شارع الحبيب بورقيبة القلب النابض للعاصمة التونسية، وملتقى نخبة البلاد من مفكرين وسياسيين وفنانين، وغيرهم، تجمعهم المقاهي المنتشرة على الأرصفة العريضة لهذا الشارع، الذي لا يهدأ حتى آخر ساعات الليل.

شهد هذا الشارع أهم مراحل ثورة الياسمين التونسية، التي اندلعت أحداثها في ١٧ ديسمبر ٢٠١٠م تضامناً مع الشاب محمد البوعزيزي الذي أضرم النار في جسده تعبيراً عن غضبه على بطالته؛ إذ تجمهر التونسيون يوم ١٤ يناير ٢٠١١م أمام مقرّ وزارة الداخلية المطلّ على الشارع في مسيرة مليونية ضمّت أبناء العاصمة وضواحيها، انتهت إلى هروب الرئيس التونسي زين العابدين بن علي بعد تهديد المتظاهرين بالذهاب إلى قصر قرطاج الذي يقع في الضاحية الشمالية من العاصمة.

وسمي الميدان ميدان الثورة Place de la Révolution، وأعدم فيه لويس السادس عشر في ٢١ يناير ١٧٩٣م.

ساحة البرلمان في جاكرتا

مثّلت ساحة البرلمان في جاكرتا عام ١٩٩٨م أفضل مكان في إندونيسيا لكتابة تاريخها الحديث، ولا يزال العالم يذكر طلبة الجامعات وهم يحملون حقائبهم التعليمية على ظهورهم حول هذه الساحة، ويتصدون بصدورهم لرصاص قوات سوهارتو . وعلى الرغم من تدهور الأوضاع الاقتصادية في البلاد إلا أن البرلمان اختاره في مارس ١٩٩٨م رئيساً للجمهورية للمرة السابعة، وهو ما فجّر ثورة الغضب، واستمرت انتفاضة الطلبة ثلاثة أسابيع، وتحت وطأة الغضب قدّم سوهارتو استقالته في ٢١ مايو ١٩٩٨م.

ميدان الاستقلال الأوكراني

شهد ميدان الاستقلال في العاصمة كييف ثورة إنقاذ أوكرانيا -إحدى الجمهوريات الخمس عشرة التي انفرطت من عقد الاتحاد السوفييتي السابق، وحصلت على استقلالها عام ١٩٩١م- من الفساد الذي صبغ الحياة السياسية بعد استقلال أوكرانيا تحت قيادة ديكتاتورها ليونيد كوتشما خلال عشر سنوات. فبعد انتهاء الحقبة الرئاسية لكوتشما في الربع الأخير من عام ٢٠٠٤م وجد الشعب متنفسا وأملاً في انتهاء المعاناة، وبدأت المعارضة بتنظيم صفوفها تحت زعامة فكتور يوشينكو، الذي تقدم لمنافسته فكتور يانكوفتش الذي حظي بتأييد الزمرة الفاسدة. أُجريت الانتخابات في ٢١ نوفمبر عام ٢٠٠٤م، وحدث ما توقّعه الشعب الأوكراني من تزوير؛ فقد فاز يانكوفتش على مرشّح المعارضة والشعب يوشينكو.

وكان يوم ٣١ ديسمبر عام ٢٠٠٤م هو اليوم الذي أعلنه قادة المعارضة لبدء حملتهم مع الشعارات البرتقالية، التي أطلقوا عليها (شعلة الحريق الكبير)؛ إذ تدفّق إلى كييف مئات الآلاف من المحتجين من كل أنحاء أوكرانيا، وكان ميدان الاستقلال هو مكان التجمع الرئيس، وكذلك حول مبنى البرلمان. وكانت الحكومة تراهن على انتشار الثلوج -التي تعمّدت عدم إزالتها- في شوارع كييف، والبرد القارس، في إجبار مؤيدي المعارضة على عدم النزول إلى الميادين، لكن الثوار كان لهم رأي آخر في تحويله إلى صيف حار بعد أن أعدّ قادة المعارضة العدة لكل شيء، فانتشرت الخيام في ميدان الاستقلال، وحول البرلمان، وتمتّعت بنظام جيد للتدفئة، ووجبات غذائية تقدم إلى المعتصمين في مواعيد منتظمة مع دورات مياه. وربطت الخيام في الساحتين بإذاعة داخلية للتوعية، والسيطرة، والتحذير من الدخلاء والمخبرين الذين يتحرّشون بالمعتصمين لإجبارهم على استخدام العنف؛ بهدف إجبار قوات الأمن على التدخّل، وتطوع كثير من الفرق الفنية لتقديم الأغاني الوطنية للمعتصمين على مدار الساعة وسط الثلوج، حتى أسقط الثوار الحكومة، وتولّى زعيم المعارضة الحكم.

ميدان أزادي وبرجه أهم معالم طهران



بني ميدان أزادي أو الحرية في طهران عام ١٩٧١م على أرض بلغت مساحتها ٥٠ ألف متر مربع، ويتوسطه برج يحمل اسمه يتميز بالروعة والدقة الهندسية

ميدان ترافالجار الإنجليزي

ميدان ترافالجار Trafalgar Square، أو طرف الغار، أو ساحة الطرف الأغر، هو ساحة فسيحة تقع في قلب لندن، وتعدّ من أهم الوجهات السياحية والتاريخية في بريطانيا عامةً، ولندن خاصةً،

وتعدّ مركزاً للتظاهرات والاحتجاجات والاعتصامات والخطب السياسية، كما أنها أشهر نقطة تجمّع في لندن لإقامة الاحتفالات؛ كاحتفال رأس السنة. وسُمِّيت الساحة بهذا الاسم نسبةً إلى الانتصار الكبير في معركة الطرف الأغر البحرية عام ١٨٠٥م، التي دمّر فيها الأسطول البريطاني أسطولي فرنسا وإسبانيا. ويتوسّط الساحة تمثال ضخم لقائد المعركة الأدميرال اللورد هوراشيو نيلسون، مُحاط بأربعة أسود برونزية ومجموعة من النوافير والتماثيل المتباعدة. وجاءت كلمة Trafalgar من التسمية العربية لموقع تلك المعركة قرب رأس الطرف الأغر (أو طرف الغرب) في إسبانيا.

تضم هذه الساحة الجميلة التصميم عدة مبانٍ أضحت كلها تقريباً من أشهر المعالم السياحية والمعمارية في بريطانيا وأوربا، أهمها وأشهرها هو عمود نيلسون، الذي يتوسّط الساحة، ويعلوه تمثال للقائد الذي توفّي في اللحظات الأخيرة من انتصاره التاريخي المدوّي، وتحفّ به نوافير المياه. هذا التمثال صمّمه مهندس معماري شهير، هو السير إدوين لاتشنز عام ١٩٣٩م، بينما نحت الأسود البرونزية الأربعة الضخمة التي تحرسه النحات الشهير السير إدوين لاندسير. ومن الطرائف التي تتعلّق بالعمود والأسود أنه يُقال: إن البرونز الذي صُنعت منه الأسود واللوحات المنحوتة على قاعدة العمود صُنع من المعدن المسيّل من المدافع والدانات الفرنسية في تلك المعركة البحرية، وأن لاندسير عندما باشر نحت أقدام الأسود اعتمد على شكل أقدام كلب؛ لأنه لم يسبق له أن رأى أقدام أسد.

أصبح ميدان ترافلجار في القرن التاسع عشر مركزاً لتجمع سكان لندن في أوقات الاحتفال والاضطراب؛ لأن موقعه المركزي كان النقطة التي تتجمع فيها الطبقة العاملة القاطنة في الطرف الشرقي للمدينة، والطبقة العليا القاطنة في الطرف الغربي لها. وكان الميدان مسرح مأساة يوم الأحد ١٣ نوفمبر عام ١٨٨٧م، عندما اصطدم أكثر من ٤٠٠٠ ضابط شرطة بعنف مع نحو ١٠ آلاف متظاهر في يوم أُطلق عليه بعد ذلك (الأحد الدامي)، وظلّ الميدان مركزاً للاحتجاجات حتى الآن.

ميدان أزادي في طهران

يقع ميدان أزادي أو الحرية في العاصمة الإيرانية طهران. بني هذا الميدان عام ١٩٧١م على أرض بلغت مساحتها ٥٠ ألف متر مربع، ويتوسّطه برج يحمل اسمه يتميّز بالروعة والدقة الهندسية، يبلغ ارتفاعه ٤٥ متراً، ومُغطًّى كله بالرخام، ويوجد في طبقاته الأرضية متحف، ومكتبة، وقاعة لعرض الأفلام، ومحلات لبيع الصناعات اليدوية والكتب. ويعدّ هذا البرج رمزاً للعاصمة طهران، وأحد النماذج المميّزة للمنجزات المعمارية الإيرانية الإسلامية المعاصرة، بعد أن تمّ افتتاحه عام ١٩٧١م.

كان ميدان أزادي مسرحاً لاثنين من أكبر الاحتجاجات التي وقعت في إيران عام ١٩٧٩م؛ إذ تجمع فيه مئات الآلاف من الإيرانيين خلال عدة مناسبات أدت في نهاية المطاف إلى الإطاحة بالشاه الإيراني رضا بهلوي. وبعد ذلك بنحو ٣٠ عاماً تدفّق جيل آخر من الإيرانيين نحو الميدان في بداية ثورة استهدفت الإطاحة بنظام الرئيس الحالي محمود أحمدي نجاد، الذي يرى كثيرون أن فوزه في انتخابات الرئاسة عام ٢٠٠٩م كان نتيجةً للتزوير. كما كان الميدان مسرحاً لكثير من المظاهرات الموالية للحكومة التي تحتفي بذكرى الثورة الإيرانية الإسلامية عام ١٩٧٩م.

ساحة التحرير في بغداد مسرح أهم أحداث بغداد السياسية والشعبية



> سمي ميدان ترافالجار بهذا الاسم نسبةً إلى الانتصار الكبير في معركة الطرف الأغر البحرية عام ١٨٠٥م، التي دمر فيها الأسطول البريطاني أسطولي فرنسا وإسبانيا



الجناردية عرس سنوي للتراث يؤكّد أن «الوحدة في التنوع» واقـع لا شعار في المملكة الوطن القارة، ويرسخ قيمة الوفاء لأهل العطاء بتكريم المبدعين، ويبرز أهمية الانفتاح على العالم باحتفائه بإحدى الدول الصديقة، ويطرح قضايا عصرية تبرز تفاعل المملكة مع محيطها الإقليمي والدولي.. إنه حقاً مهرجان وطني بنبض إنساني.

مشاركة خليجية متميزة..

وكوريا الجنوبية ضيف شرف الجنادرية

رعى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز -حفظه الله- يوم الأربعاء ١٦ ربيع الأول ١٤٣٣هـ/ ٨ فبراير ٢٠١٢م حفل افتتاح الدورة السابعة والعشرين للمهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية) الذي ينظّمه الحرس الوطني سنوياً.

وأكد صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبدالله بن عبدالعزيز -وزير الدولة، عضو مجلس الوزراء، رئيس الحرس الوطني، رئيس اللجنة العليا للمهرجان- أن مسيرة المهرجان الوطني تمضي بتوفيق من الله أولاً، ثم بالرعاية والدعم اللذين يحظى بهما المهرجان من لدن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، حفظه الله.

وقال سموه: إن هذه الرعاية السنوية للمهرجان من قيادتنا -أيّدها الله- هي وسام شرف للحرس الوطني، وللمهرجان، ولكلّ اللجان العاملة، وهي أيضاً دعم لمسيرة الثقافة والإبداع في المملكة وفي العالم العربي. ونوّه سموه بالمشاركات المتميزة في المهرجان لدول مجلس التعاون الخليجي بشقيها الرجالي والنسائي. ورحّب سموه بمشاركة دولة كوريا الجنوبية الصديقة ضيف شرف في (جنادرية ٢٦)، معرباً عن اعتزازه بهذه المشاركة بوصفها إحدى إضافات المهرجان الوطني التي يتم خلالها تعرّف ثقافات الدول الشقيقة والصديقة وتراثها، وامتداداً للتقليد الثقافي الذي ينهجه المهرجان الوطني كل عام.

وأوضح معالي الأستاذ عبدالمحسن بن عبدالعزيز التويجري -نائب رئيس الحرس الوطني المساعد، نائب رئيس اللجنة العليا للمهرجان- أن المهرجان يواصل رسالته في تعميق العلاقة بين ماضي هذه الأمة وحاضرها، وتفاعله مع القضايا الملحة التي تهمّ الأمتين العربية والإسلامية من خلال البرامج والفعاليات الثقافية والتراثية المتنوعة. وأضاف معاليه: يشهد المهرجان هذا العام تميّزاً في كثير من الفعاليات والأنشطة؛ إذ تمّت دعوة أكثر من ٣٠٠ مفكر وأديب من مختلف دول العالم، يشاركون في إثراء النشاط الثقافي هذا العام، الذي يشمل إقامة كثير من الأنشطة في عدد من المدن تناقش محاور ثقافية مختلفة.

اتحاد الصحافة الخليجية يكرم ٤٠ رائداً في الصحافة السعودية



رعى صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سعد بن عبدالعزيز -أمير منطقة الرياض بالنيابة- حفل تكريم مؤسسي الصحافة وروّادها في المملكة مساء يوم السبت ٥ ربيع الأول ١٤٣٣هـ/ ٢٨ يناير ٢٠١٢م بمركز الملك فهد الثقافي بالرياض، الذي نظّمه اتحاد الصحافة الخليجية، وحظي باستضافة وزارة الثقافة والإعلام. ويأتي هذا التكريم في إطار منهج الاتحاد في تكريم روّاد الصحافة في الخليج، وقد بدأت أولى مراحل التكريم بروّاد الصحافة البحرينية ومؤسّسيها في فبراير ٢٠١٠م. وأكد الأستاذ تركي بن عبدالله السديري -رئيس تحرير صحيفة الرياض، ورئيس اتحاد الصحافة الخليجية- أن هذه هي المحطة الثانية في هذا النهج الذي أُقرَّ في عام ٢٠٠٩م، مشيراً

سعوديان ومصريان وثلاثة أمريكيين

يفوزون بجائزة الملك فيصل العالمية



أكد صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز -أمير منطقة مكة المكرمة، المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية- أن مؤسسة الملك فيصل الخيرية سعت منذ بدايتها إلى المساهمة، ولو بجزء يسير، في خدمة الإنسان أينما كان في هذا العالم المضطرب، وأن جائزة الملك فيصل العالمية ما هي إلا إحدى الخطوات التي اتّخذتها المؤسسة للمساهمة في تكريم العلماء وتشجيعهم. جاء ذلك في كلمة سموه في حفل إعلان أسماء الفائزين بالدورة الـ٣٤ لجائزة الملك فيصل العالمية لسنة ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، الذي أقيم مساء يوم الاثنين ٢٢ صفر الماضي. وأضاف سموه: «أننا في هذا العصر الزاهر، الذي يقود بلادنا فيه رجل فذّ، رجل إصلاح وتطوير ومبادرات داخلية وخارجية، وهو خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، وكذلك سمو ولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود -نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية- حفظهما الله».

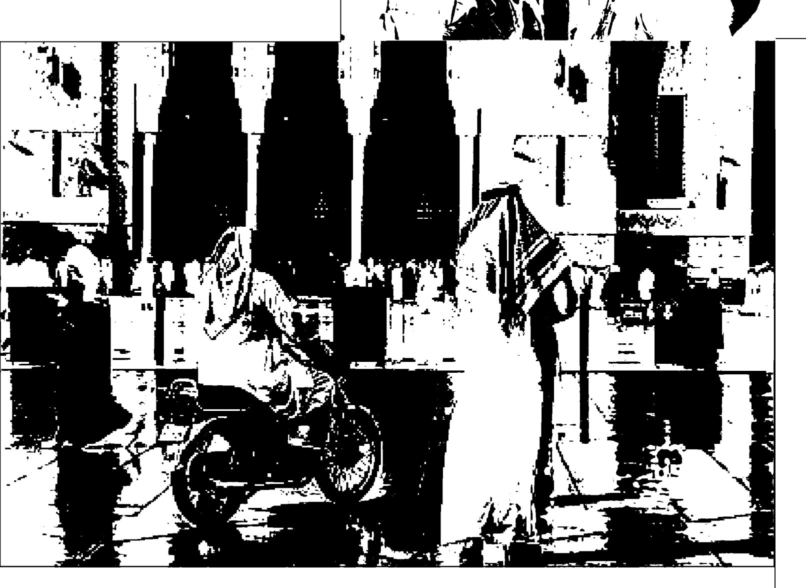
وأعلن الدكتور عبدالله بن صالح العثيمين -الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية- أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لسنة ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م؛ إذ فاز بالجائزة في فرع خدمة الإسلام الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي من المملكة العربية السعودية، بينما فاز بالجائزة في فرع الدراسات الإسلامية، وموضوعها: (حقوق الإنسان في الإسلام)، الأستاذ الدكتور عدنان بن محمد الوزان من المملكة العربية السعودية. أما فرع الجائزة للغة العربية والأدب، وموضوعها: (جهود الأفراد أو المؤسسات في مجال المعالجة الحاسوبية للغة العربية)، ففاز بها مناصفةً كلّ من: الأستاذ الدكتور علي حلمي أحمد موسى، والدكتور نبيل علي محمد، من مصر. كما مُنحت جائزة الطب، وموضوعها: (الحد الأدنى للتدخّل العلاجي)، مناصفةً لكلّ من: الأستاذ الدكتور ريتشارد بيركويتز، والأستاذ الدكتور جيمس بروس بسل، من الولايات المتحدة الأمريكية. وفاز بالجائزة في فرع العلوم، وموضوعها: (علم الحياة.. البيولوجيا)، الأمريكي الأستاذ الدكتور ألكسندر فارشفسكي.

إلى أن روّاد الصحافة في المملكة العربية السعودية بدؤوا بإمكانات محدودة، وبجهودهم الفردية، في ظلّ صعوبات متعددة قد لا تمكّنهم من الحصول على المعلومة الصحفية في زراعة الأسس الأولى للصحافة السعودية في ذلك الوقت، وهؤلاء الروّاد يمثّلون لنا الجيل الذي صنع الإعلام بمفاهيمه الحديثة التي نراها اليوم، فحقّ لنا اليوم أن نقوم بتكريمهم في هذا الحفل.

وتزامن مع هذا الحفل تدشين كتاب يتضمن توثيقاً لهؤلاء المؤسسين والروّاد الذين أسسوا لصحافة الأفراد قبل صدور نظام المؤسسات الصحفية سنة ١٣٨٣هـ، الذي أسهم في إعداده مركز الرياض للمعلومات والدراسات الاستشارية بمؤسسة اليمامة الصحفية، كما تضمّن معرضاً للصفحات الأولى من إصداراتهم، وصوراً شخصية لهؤلاء الرواد والمؤسسين.

وضمّت قائمة المُكرّمين ٤٠ شخصية من الذين أسّسوا صحفاً ومجلات من بداية سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٥م إلى سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م في مكة المكرمة والمدينة المنورة، مروراً بجميع المناطق الأخرى في المملكة؛ كالمنطقة الشرقية، والرياض، والقصيم.

نادي فوتوغرافيي الشرق الأوسط يحتفي بتجربة الأميرة ريم الفيصل



نظّم نادي فوتوغرافيي الشرق الأوسط بنادي الرياض الأدبي أمسيةً حواريةً خاصةً، تناولت تجربة صاحبة السمو الملكي الأميرة ريم الفيصل الفوتوغرافية، التي أوضحت اعتمادها على التصوير بالأبيض والأسود؛ لكونه أكثر قرباً من التعمق في معاني الأشياء، خصوصاً أن الألوان قد تبهر المصوّر وتشغله عن التعمق في المعنى.

وأضافت الأميرة ريم: «أحاول بالأبيض والأسود أن أفصل المتلقي عن طبيعة بيئته التي اعتادها، فيخرج عن المعتاد، ويبدأ البحث عما وراء الطبيعة، وما وراء هذا الإنسان، والإحساس والتجلي الموجودين في هذا المكان». وذكرت أنها تعتمد على غربتها عن المكان في لقطاتها؛ إذ لا تصور ما تألفه عينها من أمكنة أو أحياء أو أشخاص، مشيرةً إلى أنها تستوحي ذلك من الثقافة الإسلامية التي هي عمود موضوعها الفني بالدرجة الأولى، ثم من ثقافة البدو الرحّل، واصفةً رحلة التصوير بـ(البدواة الحديثة).

وسوّغت الأميرة ريم استمرار اعتمادها على التصوير الفلمي بأنه وسيلتها الأكثر روحانيةً، وأداتها الخاصة التي تعبّر بها، موضحةً أن «الفلم أصعب من الديجتال، ولا

ريم بنت محمد الفيصل.. سيرة مختصرة

- تخرّجت في مدرسة منارات جدة بالمملكة العربية السعودية.
- درست الأدب العربي في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة في المملكة العربية السعودية.
- درست التصوير في معهد École Spéos في باريس بفرنسا.
- أقامت معارض في كلّ من: السعودية، والصين، والمغرب، والكويت، ومصر، والمملكة المتحدة، والأردن، وسنغافورة، والإمارات العربية المتحدة، وإسبانيا، وألمانيا، وفرنسا، وهولندا، ورام الله بفلسطين، وكوريا الجنوبية.

- الكتب:

- ديوان النور: رحلة تصويرية عبر الضوء، والماء، والناس، ٢٠٠١م.
- الحج: وثيقة تصويرية عن الحج إلى مكة المكرمة، ٢٠٠٩م.
- عشرة آلاف شيء وشيء، رحلة إلى الصين، ٢٠١٠م.

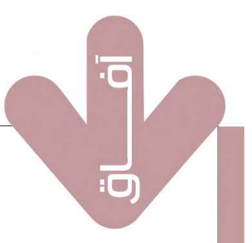
يوجد محمّضون احترافيون لدينا، لكنها طريقة إبداعي أنا. لا أرى أنني أستطيع أن أختلق شيئاً من الديجتال حالياً، مثل من يرسمون بالفرشاة، بعضهم يعود إلى الأدوات القديمة ليصنع ألوانه بنفسه، وهذا صعب جداً، لكنها طريقة إبداعه وتفرّده. عموماً، يجب ألا يكون بين الديجتال والفلم صراع، ولا ضرورة أن يلغي أحدهما الآخر؛ فهما مجرد أدوات فقط».

وتطرّقت الأميرة ريم الفيصل إلى تجربتها في تصوير الحج ثلاث مرات، وهي أول مصوّرة سعودية صوّرت الحج والحرمين. وذكرت في أسباب اهتمامها بتصوير الحج، وتركيزها فيه: «كنتُ أبحث عن الذات المؤثرة في الدولة السعودية. وأعتقد أن الحج شخصية المملكة والجزيرة، إضافةً إلى أنني أريد أن أصور مكاناً يأتي الناس إليه فقط من أجل الله. مكان في وسط الصحراء (غير ذي زرع)، لا يمكن لأحد أن يأتي إلى هذه المنطقة لأيّ سبب آخر».

وقدّم د. عيسى عنقاوي -المشرف على نادي فوتوغرافيي الشرق الأوسط- شهادته عن تجربة الأميرة ريم الفيصل، خصوصاً أنه كان مرافقاً لها في عدد من رحلات التصوير، واستعرض عدداً من المواقف الطريفة والصعوبات التي واجهتها في رحلات تصويرها الداخلية.

وقدم الأستاذ يونس السليمان -رئيس نادي فوتوغرافيي الشرق الأوسط- في ختام الأمسية هديةً تذكاريةً إلى صاحب السمو الملكي الأمير عمرو الفيصل، هي صورة مطبوعة لآخر لقاء بين الملك فيصل -رحمه الله- وخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز -حفظهما الله. وقدم النادي الأدبي بالرياض إلى سمو الأميرة ريم الفيصل العضوية الفخرية الأولى في النادي، ودرعاً تذكاريةً بهذه المناسبة.

وقد شهدت الأمسية الأميرة مها الفيصل -الأمينة العامة المساعدة للشؤون العلمية بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ومديرة دارة الفيصل- إلى جانب عدد كبير من الفوتوغرافيين والأدباء والمهتمين بالتصوير الفوتوغرافي.



معرض عن الحج

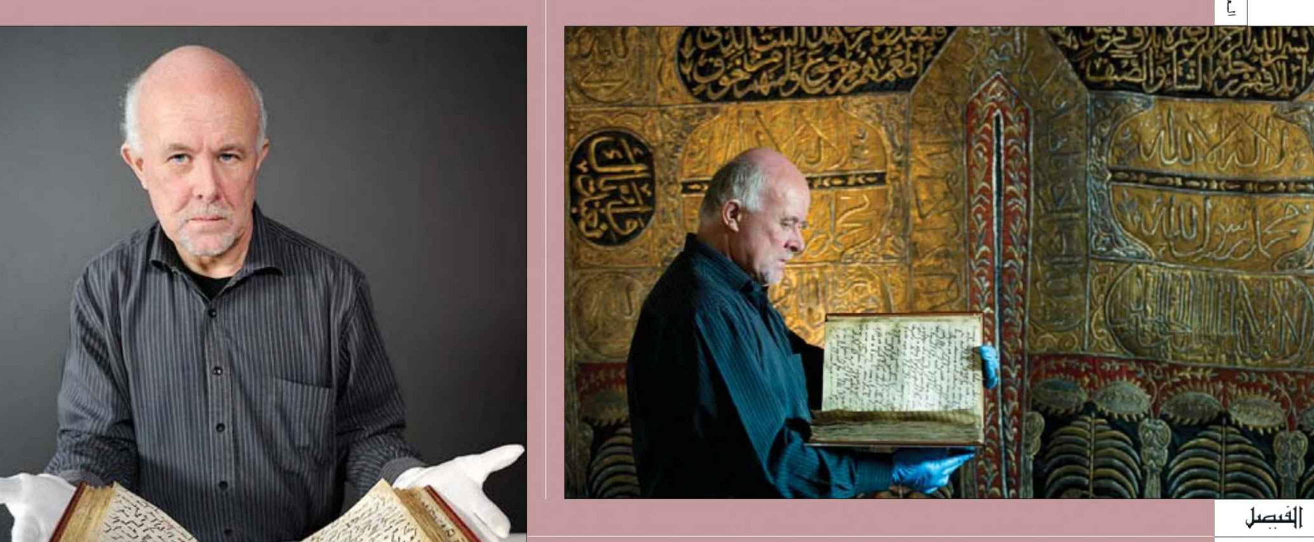
في المتحف البريطاني

يُقام حالياً بالمتحف البريطاني في لندن معرض (الحج: رحلة إلى قلب الإسلام)، الذي يستمر إلى ١٥ إبريل المقبل. وقد استغرق إعداد المعرض نحو ثلاث سنوات، وهو من أكبر المعارض عن الحج، ويشتمل على كثير من المخطوطات والمنسوجات والصور والقصص والقطع الأثرية. ويبيّن المعرض طرق الحج القديمة التي كان يسلكها الحجاج من كلّ صوب وفجّ عميق، ومن بينها الطريق الإفريقي خلال الحكم المملوكي، الذي كان يمرّ بتمبكتو في مالي والقاهرة، وصولاً إلى مكة المكرمة، والطريق العثماني الذي كان يمتد من إسطنبول إلى دمشق فمكة، ودرب زبيدة بين بغداد ومكة المكرمة.

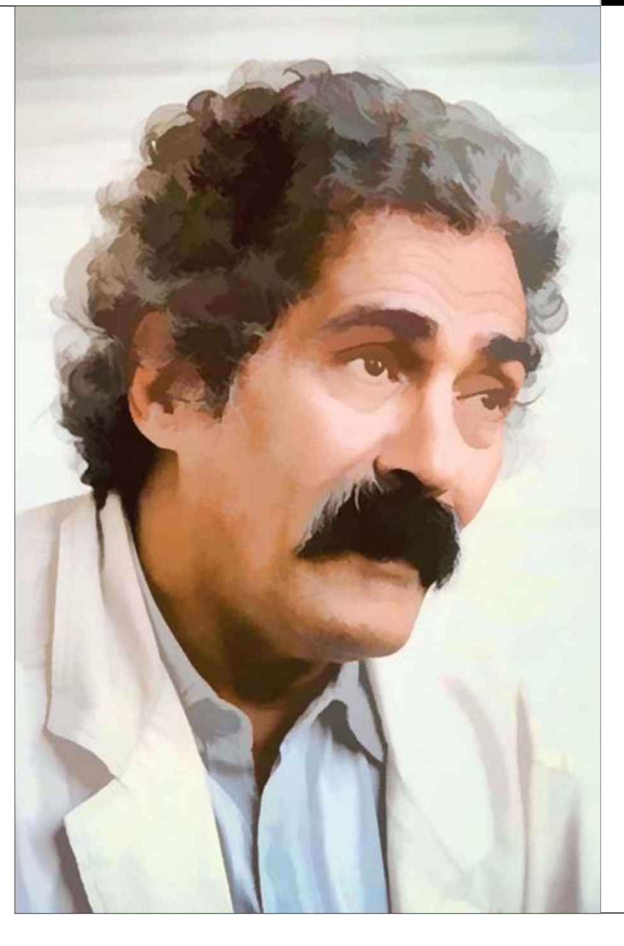
ويشرح المعرض أهمية الحج منذ الأيام الأولى لهذه الشعيرة الإسلامية، ويعرض أيضاً أول رحلة حجّ للرسول صلى الله عليه وسلم، ويجول خلال رحلة الحج مع الزمن والجغرافيا إلى أيامنا الحاضرة، إضافةً إلى استعراض معاني الحج. ويبرز المعرض ثلاثة أوجه للحج: تبدأ برحلة الحاج من خلال التركيز في الطرق الرئيسة التي سلكها الحجاج في الماضي، سواء من قارة آسيا أم من إفريقية أم من أوربا أم من الشرق الأوسط. ويتناول الجانب الثاني الفرائض المصاحبة للحج، ومعاني أداء فريضة الحج عند المسلم. ويبرز الجانب الثالث مكة المكرمة والكعبة المشرفة، بوصفهما قبلة المسلمين والحجاج، ويوضح أهميتهما.

ويشتمل المعرض على صور حديثة، وأفلام قديمة وحديثة، ومجسمات، ومجموعة من أجمل القطع الفنية والمنسوجات والمخطوطات التي تُعود ملكية بعضها إلى أشخاص، وبعضها الآخر إلى متاحف من بريطانيا ومختلف أنحاء العالم، إلى جانب جزء كبير من المعروضات تمّ تجميعها من المملكة العربية السعودية من خلال مكتبة الملك عبدالعزيز العامة. كما يتضمن خرائط قديمة، وإسطرلابات، وبوصلات، ويوميات حجاج حول رحلة الحج، ومحملاً أحمر مذهّباً كان يستخدمه السلاطين للتنقّل. ويقابل هذا الشقّ التاريخي شقّ حديث يتمثّل في صور للحجاج في حافلات أو طائرات، وزبائن وكالات سفر متخصّصة في رحلة الحج.

ومن بين الكتب التي تُعرض ضمن المخطوطات النادرة وكتب الرحلات في المعرض كتاب لأول سيدة بريطانية مسلمة تقوم بأداء فريضة الحج، وهي إيفيلين كوبولد، إلى جانب صور وصفحات من الأدعية المكتوبة بخطّ اليد حملتها معها من القاهرة وهي متجهة إلى أداء الحج عام ١٩٣٣م.



وفاة إبراهيم أصلان صوت المهمشين



تُوفِّيَ في القاهرة مساء يوم السبت ١٤ صفر ١٤٣٣هـ/ ٧ يناير ٢٠١٢م الكاتب والأديب المصري إبراهيم أصلان بعد معاناة مع مرض القلب؛ إذ أجريت له أكثر من جراحة في القلب، كانت الأولى لتغيير الشرايين بالعاصمة البريطانية لندن قبل عشرين عاماً، والثانية قبل نحو خمس سنوات.

ويعدّ إبراهيم أصلان أحد أبرز الكتاب والأدباء المصريين، وينتمي إلى جيل الستينيات، وهو من مواليد محافظة الغربية في دلتا مصر، ونشأ وتربّى في القاهرة في حيّ إمبابة الشعبي؛ مما كان له الأثر في تشكيل شخصيته، وانعكس ذلك على شخوص روايته التي تعبّر عن الفقراء والمُهمّشين، وتعدّ رواية (مالك الحزين) ضمن أفضل روايات الأدب العربي المعاصر.

درس أصلان في مدرسة فنية لتعليم فنون السجاد، ثم المدرسة الفنية الصناعية، قبل أن يبدأ حياته العملية في وظيفة ساعي بريد، وهي التجربة التي ألهمته إحدى أهم المجموعات القصصية التي أنجزها، وهي (وردية ليل). ومن أعماله: المجموعة القصصية (بحيرة المساء)، ورواية (عصافير النيل)، و(حكايات فضل الله عثمان).

وحصل أصلان على عدة جوائز، أبرزها جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ٢٠٠٤م، وجائزة كفافيس الدولية عام ٢٠٠٥م، وجائزة ساويرس في الرواية عام ٢٠٠٦م عن (حكايات فضل الله عثمان)، ورُشِّح مؤخراً لنيل جائزة النيل التي تقدمها أكاديمية الفنون. وعمل أصلان في أوائل تسعينيات القرن الماضي رئيساً للقسم الأدبي في صحيفة الحياة الصادرة في لندن، إلى جانب رئاسته تحرير إحدى السلاسل الأدبية بالمجلس الأعلى للثقافة، إلا أنه استقال على إثر ضجة رواية (وليمة لأعشاب البحر) للروائي السوري حيدر حيدر، التي تمّ منع نشرها في مصر.

أهم أعماله

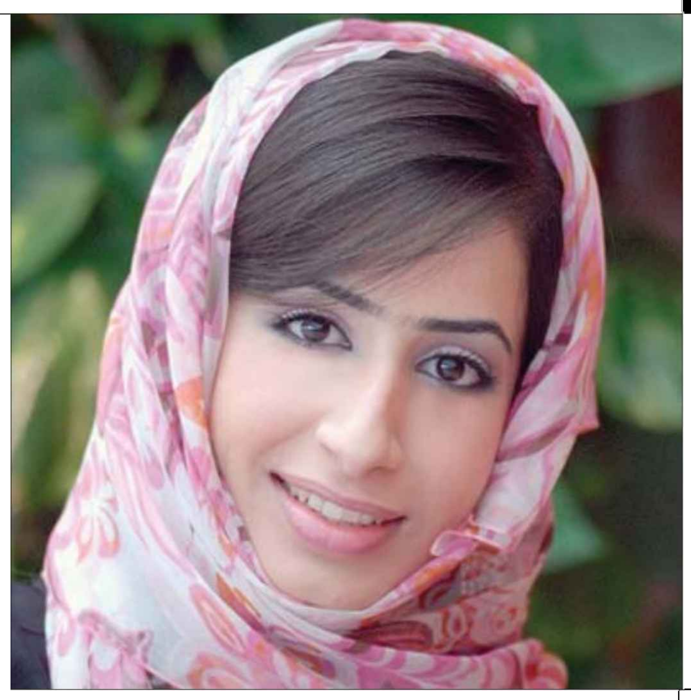
شيء من هذا القبيل (مقالات وقصص)، ويوسف والرداء (قصص)، وبحيرة المساء (قصص)، وعصافير النيل (رواية)، ومالك الحزين (رواية)، ووردية ليل (رواية)، وحكايات فضل الله عثمان (قصص)، وخلوة الغلبان (مقالات وقصص).

جوائز

جائزة طه حسين من جامعة المنيا عن رواية «مالك الحزين» عام ١٩٨٩م، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤م، وجائزة كفافي الدولية عام ٢٠٠٥م، وجائزة ساويرس في الرواية عن «حكايات من فضل الله عثمان» عام ٢٠٠٦م.

نادي دبي للصحافة

ونظرة إلى الإعلام العربي في ١٧ دولة



مريم بنت فهد

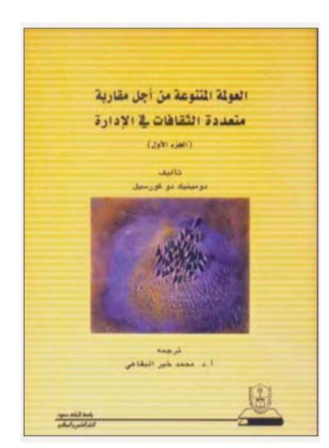
كشف نادي دبي للصحافة عن بدئه إعداد الإصدار الرابع من تقريره (نظرة إلى الإعلام العربي)، الذي يرصد التطور في المشهد الإعلامي العربي، ويتوقع أشكال النمو فيه خلال خمس سنوات مقبلة.

وفي هذا السياق، ذكرت مريم بنت فهد -المديرة التنفيذية لنادي دبي للصحافة- أن الإصدار الجديد سيرصد - بشكل عملي ودقيق - كل التغييرات الحاصلة في القطاع الإعلامي في ١٧ دولة عربية، وأن التقرير اتّسع نطاق بحثه ليضم أول مرة كلاً من: العراق، وليبيا، إضافةً إلى البحرين، ومصر، والأردن، والكويت، ولبنان، والمغرب، وعمان، وفلسطين، وقطر، والمملكة العربية السعودية، وسورية، والسودان، وتونس، والإمارات، واليمن، خصوصاً أن أغلبية الدول قد شهدت تحولات كبرى في القطاع الإعلامي؛ إذ تأثرت - بشكل متفاوت - بالحراك السياسي والاجتماعي والاقتصادي بما فيه من قضايا وظواهر ترتبط بعمل وسائل الإعلام الجديدة والتقليدية على حدّ سواء.

وأكدت مريم بنت فهد أن النادي اختار هذا التوقيت المهم لبدء جهده البحثي لرصد التغيرات المتسارعة في صناعة الإعلام؛ ليقدم قراءة شاملة لشكل التبدّل ونوعه في نمط عمل الاستثمارات وحجمها في الصحف المطبوعة والإذاعات ومحطات التلفزة والوكالات ووسائل الإعلام الجديدة. وإلى جانب الدراسة المسحية، سيقوم التقرير بإجراء مقابلات مع نخبة من وسائل الإعلام في الوطن العربي؛ لتقدّم ملخصاً لآراء القائمين على تلك المؤسسات لتعرّف أبرز التوقعات عن التحديات التي تواجه واقع صناعة الإعلام في الوطن العربي، مشيرةً إلى أن التقرير سيُخصّص دراسةً منفردةً لأنماط الاستهلاك الإعلامي في أربع دول، هي: الإمارات، والسعودية، ومصر، والمغرب، يبحث فيها أشكال الاستهلاك الإعلامي عبر مختلف المنصات الإعلامية، ويقوّم مدى التأثير الذي أحدثه انتشار خدمات الإنترنت ذات النطاق العريض، وزيادة استخدام شبكات الإعلام الاجتماعية في توجّهات المستهلكين، وتركّز الدراسة في الفرص المتاحة أمام نشر المحتوى، وطرائق الاستفادة منها. وستتم مناقشة أبرز مخرجات التقرير المرتبطة بواقع تطورات مشهد الإعلام العربي خلال الدورة الحادية عشرة لمنتدى الإعلام العربي؛ لتفتح المجال للخبراء والأكاديميين للتوسّع في النقد والتحليل والنقاش للمعطيات والأرقام والحقائق التي ترصد التطورات الأخيرة في الوطن العربي والعالم.

يُذكر أن الإصدار الثالث من تقرير (نظرة إلى الإعلام العربي: ٢٠٠٩- ٢٠١٣م) كان قد توقّع أن ينمو الإنفاق الإعلاني عبر الإنترنت بمعدلات كبيرة؛ ليصل إلى ٢٦٦ مليون دولار، بعد أن كان ٥٤ مليون دولار. ويعدّ تقرير (نظرة إلى الإعلام العربي)، إضافةً إلى منتدى الإعلام العربي، وجائزة الصحافة العربية، جزءاً من المبادرات والمشروعات الرائدة التي أطلقها نادي دبي للصحافة لتطوير قطاع الإعلام في العالم العربي.

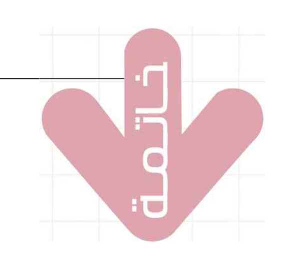
العولمة المتنوعة



جاء كتاب «العولمة المتنوعة من أجل مقاربة متعددة الثقافات في الإدارة» في جزأين، وهو ثمرة من ثمار ندوة الحوار السعودي الفرنسي التي رعاها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، ونظّمتها وزارة التعليم العالي بالتعاون مع جامعة الملك سعود والملحقية الثقافية في السفارة السعودية بباريس في ١٠-١٢ ربيع الأول سنة ١٤٣٠هـ/ ٧-٨ مارس ٢٠٠٩م. والكتاب وضعته دومينك دو كوسيل، وترجمه الدكتور محمد خير البقاعي، وهو من مطبوعات جامعة الملك سعود. ومن آراء المؤلفة في الكتاب أنه يوجد مع الاقتصاد المعولم، وتقنيات الاتصال الجديدة، ضمير كوني في طور التشكل. ولم يعد الطموح الكوني أمراً مجرداً، بل حسياً؛ لأن هدفه الأرض والحضارة الجديدة التي تُرسى دعائمها في نطاقها. كما أن للاقتصاد المعولم، وهو اقتصاد تنافسي، تبعات أو نتائج كثيرة، لعل من أهمها أن هناك علاقات عولمية جديدة في طور التشكّل بين الإنسان وعناصر الكون الأساسية، التي هي: الماء، والتراب، والهواء، والنار، إضافةً إلى الطاقة بكل أشكالها. والحال أن الطمع في هذه العناصر الأربعة يزداد، وتصبح في كل يوم أكثر ندرةً. وتؤكد المؤلفة أن المعارف وحوارات الأفكار تفلت في آنٍ معاً من مواطنها الأصلية، وهي من الآن فصاعداً متاحة في جهات الكوكب الأربع بفضل الإنترنت، والترجمات المتعددة، والمقارنات التي لا تنتهي، وبفضل انتقال البشر، حتى إن التنوع يطلّ برأسه في كل ركن من أركان الأرض. كما أن المنجزات الحضارية الكبرى التي سمحت بانطلاقة الفكر والفعل، سواء أكان ذلك في المجال الديني أم الفلسفي أم الأدبي أم العلمي، لهي مكوّنات ما يمكن أن نسمّيه الثقافة، التي هي -شأنها شأن العناصر الأربعة- عنصر حيوي للإنسان والعالم. وتسوّغ المؤلفة إصدارها هذا الكتاب بأنها تسعى إلى التذكير ببعض سمات حياة الأفكار المشار إليها بتلك الحيوية الثقافية على اختلافها؛ لتبرهن على فائدتها، بل ضرورتها في عالم معولم يسيطر عليه اقتصاد السوق التنافسي الذي تتعالى فيه -بشيء من العنف- أصوات كثيرة تطالب بحق الاختلاف.

الإعلام والرأي العام في مرآة العالم العربي

تشكّلت مادة هذا الكتاب العلمية من محصّلة بحوث المشاركين في الملتقى الدولي الذي نظّمته وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والتكنولوجيا في تونس يومي ١٣ و١٤ نوفمبر ٢٠٠٨م، بالاشتراك مع جامعة منوبة التونسية، ومعهد الصحافة وعلوم الأخبار، ومؤسسة كونراد أديناور. ويتكوّن الكتاب من قسمين، محتواهما واحد: الأول باللغة العربية، وعدد صفحاته ٢٠٢ صفحة، والثاني باللغة الإنجليزية، وعدد صفحاته ١٦٢ صفحة. ومن أهم موضوعات الفهرست العربي: افتتاحية وزير التعليم العالي والبحث العلمي والتكنولوجيا التونسي، وغياب سياسة مواجهة الإعلام العربي لديكتاتورية الغرب الاتصالية للدكتور المعز بن مسعود، وفصل الاتصال التلفزيوني والرأي العام: مقاربة نفسية اجتماعية، للدكتورة فتحية السعيدي، والرأي العام في الغرب والعالم العربي: منظور اتصالي، للدكتور عصام سليمان الموسى، والإرهاب والإنترنت: تجليات رأي عام افتراضي، للدكتور جمال الزرن، وتكنولوجيا الإعلام والاتصال والرأي العام العربي للدكتور رضا مثناني، والقنوات التلفزيونية العربية: رأي عام عربي موحّد أم متعدد؟ للدكتور المنصف العياري، والرأي العام التونسي والإعلام الديني الوطني للدكتورة ثريا السنوسي.



وراثة الكتب

ناصر أحمد سنه
القليوبية – مصر

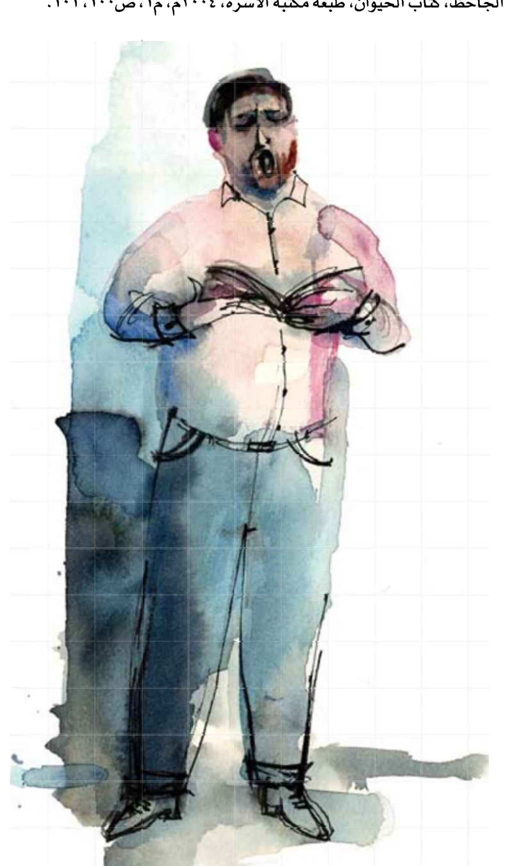
منذ شهور استوقفني أحد جيراني، وكان قد تعافى من أحزان فقد أخته الكبرى، فطلب مني أن أتولّى التصرّف في كتب دراسية، ومجلات ثقافية، ومعجمات للغة الروسية كانت مجال اختصاص أخته الراحلة وعملها. صعد بيته، وعاد بعد مدة يحمل صندوقاً كبيراً. ألحّ عليّ أن «يُوهب لمن يستفيد منه من الطلاب، أو المترجمين، أو الاختصاصيين في اللغة الروسية». ولم أكن لأخيّب رجاءه، أو أن أبدّد (ثروة أخته).

تذكّرت حادثة جاري هذا، واسترجعتُ أنه في عدة دورات سابقة لمعرض القاهرة الدولي للكتاب كان يُوجد جناح خاصّ بالكتب القديمة والمستعملة (سور الأزبكية)، وكم من مرة أجد رسائل علمية ممهورة بيد أصحابها، ومهداة إلى مشرفيهم. أنقد البائع عشرين جنيهاً، فأحمل (كنزاً) من عشر رسائل علمية، وعشرة كتب قيمة، وأعود إلى بيتي. أطير فرحاً، فرحاً لا يعكّره سوى توارد بعض الخواطر: لعل هذه الرسائل العلمية، والكتب المستعملة، مات عنها أصحابها، فما كان من ورثتهم إلا أن تخلّصوا منها على هذا النحو الذي تُباع فيه رسالة علمية بجنيه واحد، أو لعلهم انتقلوا إلى مسكن جديد، فلم يجدوا فيه مكاناً للكتب والرسائل (القديمة). ويلحّ السؤال: تُرى هل سيُفعل بي، وبكتبي ورسائلي (ثروتي الوحيدة)، مثلما فعل هؤلاء بإرث أبيهم أو أقربائهم؟!. إذ نرى أنه لا يكاد يمرّ شهور على وفاة الزوج أو الزوجة، أو الطلاق بينهما، حتى نشاهد ما حرصا على اقتنائه، وبخاصة الكتب والدوريات العلمية والثقافية والمتعلقات الشخصية، وهي تُحمل –لا لتُهدى أو يُتبرع بها صدقةً جاريةً إلى من يعرف قيمتها– بل لتُباع بأبخس الأثمان، وإلى حيث لا رجعة، دونما إبقاء لشيء يحمل عبق الذكرى، وبرد الذكريات لهذا الذي كان ملء السمع والبصر.

وأفيق من نشوة الفرح، وتوارد الخواطر، وإلحاح الأسئلة وشجونها، لمّا تقابلني أم الأولاد بامتعاض شديد، فلا تسعى لتحمل عني ما أحمل، شأنها عندما أحضر الطلبات والعاديات والحاجيات والتحسينات، بل تحمل (همّ) ذلك «التوسّع والتمدّد الطبيعي، وأحياناً غير الطبيعي» للكتب في بيتنا؛ فلم تعُدْ مقصورةً على رفوف المكتبة بعينها، أو في غرفة واحدة، بل تعدّتها إلى أخرى. لكن مساحة غرف البيت محدودة، والرغبة في الاقتناء والاطلاع غير محدودة، فتنشب المنازعات والخلافات بين الزوجة وضرّتها (الكتب، والدوريات)، بينما يلتزم الأولاد الحياد و(عدم الانحياز).

ولعلّ السطور الآتية، التي أوردها الجاحظ في كتابه (الحيوان)، تكون بمنزلة (وصية) تذكّر من (يثير المنازعات)، ومن (يلتزم الحياد)، بإحسان الصنيع في (تركة الكتب والدوريات)، يقول: «وراثة الكتب الشريفة، والأبواب الرفيعة، منبِّهة للمورِّث، وكنز عند الوارث؛ فخير ميراث وُرِّث كتبٌ وعلمٌ، وخير المورّثين من أورث ما يجمع ولا يفرّق، ويبصِّر ولا يُعمي، ويُعطي ولا يأخذ، ويجود بالكلِّ دون البعض، ويدع لك الكنزَ الذي ليس للسلطان فيه حقٌّ، والرِّكازَ الذي ليس للفقراء فيه نصيب، والنِّعمةَ التي ليس للحاسد فيها حيلة، ولا للصوص فيها رغبة، وليس للخصم عليك فيه حجَّة، ولا على الجار فيه مؤونة»(*).

(*) الجاحظ، كتاب الحيوان، طبعة مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤م، م١، ص١٠٠، ١٠١.





الجمعية السعودية الخيرية للتوحد

تنظم

برنامج كفالة طفل يعاني من التوحد للأسر المحتاجة

يمكنكم تخفيف معاناتهم عن طريق :

- كفالة طفل مصاب بالتوحد لكي يلتحق بمركز الجمعية السعودية الخيرية للتوحد وقدرها (١٨,٠٠٠) ريال سنوياً.
- نصف كفالة (٩٠٠٠) ريال .
- كفالة لأكثر من حالة (تحدد حسب العدد) .

يتم تمويل البرنامج بدعمكم عن طريق التبرعات والهبات والزكاة

- بعد دراسة الحالة الاقتصادية والاجتماعية للأسرة المحتاجة من قبل المختصين.



تقدم الجمعية السعودية الخيرية للتوحد :

- التشخيص والتقييم للقدرات ومستوى الأداء.
- الخدمات التربوية المتخصصة.
- الخدمات التأهيلية المتخصصة.
- الخدمات الاجتماعية.
- التدريب على التواصل.
- تعديل السلوك.
- التدريب على الاستقلالية.
- الرحلات والزيارات الترفيهية والتعليمية.
- المواصلات من المنزل إلى المراكز والعكس (قدر الإمكان).
- التوعية والتدريب للأسر حول الكيفية المثلى للتعامل مع الحالات في المنزل والمدرسة.

هاتف : ٢١٢٠٠٥٠ - ٤٤١٣٠١٠ فاكس : ٢١٢١٠٠٨
ص ب ٦٩٢٩٦ الرياض ١١٥٤٧ P.O Box 69296 Riyadh11547
Tel ٤٤١٣٠١٠ - ٢١٢٠٠٥٠ Fax ٢١٢١٠٠٨